الفصل الأول

التقييد بالنواسخ

توطئة الفصل:

أقر نحاتنا العرب بأن الجملة الاسمية في مثل قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ}[1] جملة مطلقة، وهي الجملة التي تكون النسبة فيها بين طرفي الإسناد مطلقة من كل قيد، إلا أن هذه النسبة المطلقة قد تقيد بأدوات معينة ومحددة، هي في حقيقة الأمر مقيدات يتغير معها هيئة كل من المسند إليه والمسند.

ومن هذه المقيدات كان وإن وظن، وأن لكل واحدة منها أخوات فنقول: كان وأخواتها[2] و إن وأخواتها و ظن وأخواتها [3] حيث صارت كل أداة عنوانا لبابها، دالة عليه، ويطلق على هذه المقيدات – كما يقول النحاة – النواسخ أو نواسخ الابتداء»[4] لأنها تحدث نسخًا وتغييرًا في الجملة[5].

إلا أنه – كما يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة: يظل الإسناد هو الرابطة بين المبتدأ والخبر حتى بعد دخول النواسخ عليها، وقد تتغير المصطلحات في التحليل النحوي، ولكن الإسناد لا يتغير وذلك؛ لأن البنية الأساسية في الجملة المنسوخة هي المبتدأ والخبر، وإن تغيرت المصطلحات الدالة عليها وفقا للتغير الحادث[6].

---

(1) من الآية: ٢٩ من سورة الفتح.

(2) وما يلحق بها، وأعني: (كاد وأخواتها).

(3) وما يلحق بها، وأعني: (ما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل).

(4) انظر: لابن هشام، أوضح المسالك: ١/ ٢٢٦.

(5) والحقيقة – كما يرى البحث – أن إسناد النسخ والتغيير لهذه الأدوات إنما هو على سبيل المعيارية التعليمية..، أو تبعا لنظرية العامل القائل بها نحاتنا السلف رحمهم الله تعالى وفي ذلك يقول ابن جني: وإنما قال النحويون: عامل لفظي وعامل معنوي ليروك أن بعض الفعل يأتي مسببا من لفظ يصحبه، كـ (ليت عمرا قائم) الخصائص: ١/ ١١١، وراجع ابن مضاء، الرد على النحاة: ١٩ دراسة وتحقيق د. محمد إبراهيم البنا. القاهرة. دار الاعتصام. ط أولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(6) د. محمد حماسة. بناء الجملة العربية: ١٠٢.

وذهب الكوفيون إلى أن الجملة المتصدرة بـ (كان) أو (ظن) هي جملة فعلية لا اسمية[١]، مما جعل بعض الدارسين المحدثين يسمي الجملة المبدوءة بفعل ناسخ جملة فعلية[٢]، لتصدرها بذلك الفعل، ويقول آخر: بما أن الأفعال الناسخة تغير من وضع الجملة التي تدخل عليها بالإضافة إلى عملها في جزأيها تصبح الجمل بما فيها الأفعال الناسخة جملها فعلية[٣] والحقيقة أنها ليست جملاً فعلية بل هي جمل اسمية؛ لأن الجملة لا تنسب في نوعها إلى الأداة الداخلة عليها، وإنما تنسب إليها في معناها الجملي، فيقال جملة نفي أو جملة شرط...[٤].

ومن المعروف – كذلك – أن ظن وأخواتها أو ما يلحق بها أفعال من أنواع الفعل المتعدي، أما كان وأخواتها أو ما يلحق بها فهي أفعال لا توصف بتعد ولا لزوم. فدل ذلك الاختلاف على أنه يمكن اعتبار (كان) من نواسخ جملة المبتدأ والخبر؛ لأنها تقوم بوظيفة دلالية لا يمكن أن يعبر عنها بدونها. وأن (ظن) أو إحدى أخواتها أو ما يلحق بها مع كونها نواسخ تؤثر في الجملة الاسمية (مبتدأ وخبرًا) تعتبر ركنًا من ركني الإسناد في جملة فعلية أخرى. ومن ثم لا يمكن أن يقال: إن (ظن) قد دخلت على الجملة الاسمية، باعتبارها ناسخًا لها. بنفس المعنى الذي يقال به عن (كان) أو إحدى أخواتها.

مهما يكن من أمر فالنواسخ – يمكن تصنيفها بحسب التقييد الذي يحدث في الجملة إلى – ثلاثة أنواع: كان وأخواتها وما يلحق بها، وإن وأخواتها وظن وأخواتها وما يحلق بها.

هذا محور شكلي...وثمة محور أخر تتمثل فيه تلك المعاني المفادة أو المنعكسة

---

(1) انظر: لابن هشام، المغني: ٢/ ٤٣٣، وكذلك: السيوطي، همع الهوامع: ١/ ٤٠٩ – ١/ ٥٤٢.

(2) انظر: د. محمد صلاح الدين بكر، دراسات في الصيغة والجملة: ١٥٩. الكويت. مكتبة أم القرى. ط أولى. ١٩٨٤م.

(3) د. صبحي عبد الحميد عبد الكريم، دراسة تفصيلية لأصول الجملة العربية: ١/ ٢٠. القاهرة. دار الطباعة المحمدية ١٩٨٠م.

(4) انظر: د. محمد حماسة، العلاقة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: ٦٢.

جراء تقييد الجملة بهذه القيود الوافدة إليها.

فإذا قيدت الجملة بـ (كان) أو إحدى أخواتها أو ما يلحق بها فإن التقييد المفاد منها تقييد زمني ذلك؛ لأن الجملة الاسمية قبل تقييدها بهذه المقيدات مبهمة في الزمن مطلقة.

وإذا قيدت الجملة بـ (إن) أو إحدى أخواتها فإن المعنى المفاد هو ما تؤديه هذه القيود من معان كـ التوكيد.. والاستدراك والتشبيه والتمني والترجي وذلك بحسب نوع القيد الوافد.

وإذا قيدت الجملة بـ (ظن) أو إحدى أخواتها أو ما يحلق بها فإن ثمة معنى جديدا يكتسب، وهو إثبات ما عليه حالة المتكلم على النسبة القائمة بين ركني الإسناد في الجملة الاسمية من اليقين أو الرجحان.. إلخ، كل حسب نوع القيد الداخل على الجملة.

من أجل ذلك كله جاء هذا الفصل التقييد بالنواسخ مخصصًا لدراسة الجملة في صورة تقييدها المشار إليه.. واقتضت طبيعة هذا الفصل أن يكون في ثلاثة مباحث: أما الأول منها فخصص لدراسة كان وأخواتها وما يلحق بها وجاء الثاني لدراسة إن وأخواتها ثم خصص المبحث الثالث لدراسة ظن وأخواتها وما يلحق بها.

المبحث الأول

كان وأخواتها وما يلحق بها

أولاً: كان وأخواتها

كان وأخواتها أفعال ناقصة، لا يتم بها مع مرفوعها كلام، وهي ترفع المبتدأ تشبيهًا بالفاعل، ويسمى اسمها، وتنصب الخبر تشبيها بالمفعول ويسمى خبرها[١]. وإنما سميت هذه الأفعال بالناقصة لنقصانها عن سائر الأفعال؛ إذ إنها – كما قلنا – لا تتم كلامًا مع مرفوعها بل يحتاج إلى الخبر المتمم للمعنى[٢]. وسميت – كذلك – ناقصة؛ لأن كل فعل منها يدل على حدث هو ناقص في ذاته، حيث إن إسناده إلى مرفوعه لا يفيد الفائدة الأساسية المرجوة إلا بعد مجيء الاسم المنصوب وهو الخبر المتمم للمعنى الأساسي[٣]، وذلك بخلاف الأفعال التامة، تلك الأفعال التي تكتفي بمرفوعها الفاعل أو نائبه.

وروعي في هذه الأفعال دلالة الزمن أكثر من الحدث؛ لذلك رأينا النحاة يتفقون على دلالة الناقصة على الزمن، ويختلفون في دلالتها على الحدث.

فقد ذهب قوم من النحاة منهم: سيبويه[٤] والمبرد[٥] وابن السراج[٦] وابن جني[٧] والشلوبين[٨] والجرجاني[٩] إلى عدم دلالتها على الحدث. وذهب ابن

---

(1) انظر: السيوطي، همع الهوامع: ١/ ٤٠٨ وما بعدها.
(2) انظر: الأردبيلي، شرح الأنموذج: ١٥١.
(3) انظر: ابن عيش، شرح المفصل: ٧/ ٨٩.
(4) انظر: سيبويه، الكتاب: ١/ ٤٥ وما بعدها.
(5) انظر: المبرد المقتضب: ٣/ ١٩٧ وما بعدها.
(6) انظر: ابن السراج، الأصول: ١/ ٨٢.
(7) انظر: ابن جني، اللمع: ١١٩.
(8) انظر: الشلوبين، التوطئة: ٢١٠.
(9) انظر: الجرجاني، المقتصد: ٣/ ٣٩٨.

خروف[١] وابن عصفور[٢] إلى أنها مشتقة من أحداث لم ينطق بها.. وذهب جماعة منهم ابن مالك[٣] والرضي[٤] وابن هشام[٥] إلى أنها تدل على الحدث والزمن معا.

وفي الحقيقة – كما يرى البحث – أنها دالة على الزمن دون الحدث؛ لأنها لا تشتمل إلا على عنصر واحد من عنصري الفعل التام، وهو (الزمن) لذا سميت ناقصة، ويؤيد كلامنا هذا ما ذهب إليه ابن الانباري بقوله إن كان بمنزلة ضرب، فإن ضرب فعل حقيقي يدل على حدث وزمان، وأما كان فليس فعلاً حقيقيًا بل يدل على الزمان المجرد من الحدث»[٦] ومن هنا كان قياس هذه الأفعال ألا تعمل شيئا؛ لأنها ليست بأفعال صحيحة، إذ دخلت للدلالة على تغير الخبر بالزمان الذي يثبت فيه، وإنما عملت تشبيها لها بما يطلب من الأفعال الصحيحة»[٧].

وهذه الأفعال ثلاثة عشر فعلاً[٨]، وتنقسم من حيث شروط عملها إلى ثلاثة أقسام. الأول منها، وهو: ما يعمل هذا العمل، وهو رفع المبتدأ ونصب الخبر مطلقًا، وذلك دون شرط أو قيد، وهو ثمانية أفعال، وهي: (كان – وهي أم الباب – وأصبح وأضحى وأمسى وظل وبات وصار وليس).

والقسم الثاني: ما يعمل عمل كان شريطة أن يتقدمه نفي أو نهي أو دعاء، وهو أربعة أفعال، وهي: (زال وبرح وفتئ وانفك).

أما القسم الثالث: وهو ما يعمل عمل كان بشرط أن تتصدره (ما) المصدرية

---

(1) انظر: همع الهوامع: ١/ ٤١٨.

(2) انظر: ابن عصفور، شرح الجمل: ١/ ٣١٥ وما بعدها.

(3) انظر: ابن مالك، التسهيل: ٥٣.

(4) انظر: الرضي الاستراباذي، شرح الكافية: ١/ ٢٥٢.

(5) انظر: ابن هشام، المغني: ٢/ ٦٤١.

(6) ابن الانباري: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/ ٨٢٦ المسألة التاسعة عشرة بعد مائة تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة. دار إحياء التراث العربي. بدون.

(7) السيوطي، همع الهوامع: ١/ ٤٠٩.

(8) قال ابن يعيش: سيبويه لم يأت على عدتها، وذكر بعضها ونبه على سائرها شرح المفصل: ٧/ ٩٠. وقد ذكر العلماء من هذه الأفعال: آض وغدا وراح ورجع واستحال وعاد وقعد.. الصبان، حاشية الصبان على الأشموني: ١/ ٣٦١.

الظرفية، وهو الفعل (دام)، وسميت (ما) بالمصدرية، لأنها تقدر مع الفعل بالمصدر، وسميت بالظرفية لنيابتها عن الظرف، وهو المدة[١].

القسم الأول:

ويندرج تحته ثمانية أفعال، وهي: (كان وأصبح وأضحى وأمسى وظل وبات وصار وليس). والمستخدم في لغة القرآن الكريم منها: (كان وأصبح وظل وبات وليس)[٢].

(كـــــان)

الأصل في القيد (كان) أنها تفيد اتصاف المخبر عنه وهو الاسم بالخبر في زمن يناسب صيغتها[٣]. فإذا كانت (كان) في صورة الماضي فإن زمنها في سياق الجملة يكون دالاً على الماضي غير المحدد، ويتضح هذا من قوله تعالى: {وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى}[٤] وقوله تعالى: {مَن كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ}[٥]. اللهم إذا كانت هناك قرينة تمنع من ذلك، إذ إن القيد (كان) جاءت في صورة الماضي وهي دالة على الحال، وذلك كما في قوله تعالى: {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا}[٦] لأن زمنية إقامة الصلاة موقوتة بوقتية حالها[٧].

وإذا جاء القيد (كان) بصيغة المضارع أو الأمر فإن زمنها ينصرف إلى الحال أو الاستقبال[٨] فدلالة الحال تبدو كما في قوله تعالى: {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ

---

(1) انظر: السيوطي، همع الهوامع: ١/ ٤١٠.

(2) سأرجئ الحديث عنها -إن شاء الله تعالى – إلى فصل (التقييد بالنفي)، حيث صنفت ضمن أدوات النفي المشبهة بها، وغيرها من الأدوات .

(3) انظر: القطاني، تسهيل نيل الأماني في شرح عوامل الجرجاني: ٢٧. القاهرة. مصطفى الحلبي ١٣٥٨هـ. ١٩٣٩.

(4) من الآية: ١١١ من سورة البقرة.

(5) الآية: ٩٨ من سورة البقرة.

(6) من الآية: ١٠٣ من سورة النساء.

(7) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٦٨.

(8) راجع الإستراباذي، شرح الكافية: ٢/ ٢٩٣.

الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ}[1] أما دلالة الاستقبال فتتضح من قوله تعالى: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ}[2] ونحو قوله تعالى: {وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا}[3] وينصرف – كذلك – إلى الزمن المستقبل إذا كان القيد في صورة الأمر، نحو قوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ}[4].

وتأتي كان لإفادة الدوام والاستمرار[5] كما في قوله تعالى: {وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا}[6] فالقدرة صفة من صفات الله عز وجل ثابتة دائمة لا تزول ولا تحول، وكذلك الشأن في سائر صفاته سبحانه وتعالى. وفي ذلك يقول صاحب الكشاف: كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل على عدم سبق ولا انقطاع طارئ، ومنه قوله تعالى {وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}[7]»[8] وقال أبو حيان في قوله: {إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[9]: لا يراد بكان تقييد الخبر بالمخبر عنه في الزمان الماضي المنقطع في حق الله تعالى، وإن كان موضوع كان ذلك، بل المعنى الديمومة، فهو تعالى رقيب في الماضي وغيره علينا[10].

بينما ذهب الرضي إلى أن القرينة المحددة للزمن في قوله تعالى: {وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}[11] وما يشابهه وهو الاستمرار والدوام مستفاد من قرينة وجوب كون الله سميعًا بصيرًا لا من لفظ كان..[12].

---

(1) من الآية: ٤٩ من سورة آل عمران.
(2) من الآية: ٢٦٦ من سورة البقرة.
(3) من الآية: ٧ من سورة الإنسان.
(4) الآية: ٩٨ من سورة الحجر.
(5) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٢٢ وما بعدها تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة. دار التراث بدون.
(6) من الآية: ١٣٣ من سورة النساء.
(7) من الآية: ٩٦ من سورة النساء.
(8) الزمخشري، الكشاف: ١/ ٤٠٠.
(9) من الآية: ١ من سورة النساء.
(10) أبو حيان، البحر المحيط: ٣/ ٥٠٠.
(11) من الآية: ١٣٤ من سورة النساء.
(12) الإستراباذي، شرح الكافية: ٢/ ٢٩٣.

ولعل ما ذهب إليه الرضي يوضح صراحة اتجاها نستوقف من خلاله أنفسنا أمام كل الآيات التي وردت متحدثة عن صفات المولى تعالى، وقد وردت دون تقييدها بالقيد (كان) وذلك نحو قوله تعالى: {وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[1] وقوله تعالى: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[2] وكذلك قوله تعالى: {لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[3] ولعلي أتفق فيما ذهب إليه، ولكن يبقى أن أشير إلى أنه إن كان القيد (كان) لا يحدد زمنا في مثل هذه الآيات فإنه يأتي – ولا ريب – وقد أضاف معنى جديدا، هو تأكيد هذه الصفات وذلك تبعا للمقولة المعروفة، وهي (أن الزيادة في المبنى تتبعها زيادة في المعنى) هذا على مستوى كلام البشر فما بالنا بالقرآن الكريم، وأنه لا زيادة فيه وحاشا أن يقال كلام مثل هذا.

مما سبق يتضح لنا أن نحاتنا القدامى قد بحثوا – إلى حد ما – زمنية القيد (كان) وقد أوجز صاحب الإتقان في علوم القرآن آراءهم[4]، وقد عرضت أغلبها ومن الواضح – كذلك – أنهم نظروا إلى الزمن وتحديده من خلال صيغة القيد وفي ذلك يقول الدكتور تمام حسان: وحين نظر النحاة العرب في معنى الزمن في اللغة العربية كان من السهل عليهم أن يحددوا الزمن الصرفي من أول وهلة فقسموا الأفعال بحسبه إلى ماض ومضارع وأمر ثم جعلوا هذه الدلالات الزمنية الصرفية نظاما زمنيا[5] ثم راح يوضح أنهم حين طبقوا قواعدهم على السياق وجدوا خللاً في التطبيق مما جعلهم ينسبون الزمن إلى الأدوات[6]، ومنها القيد (كان).

وفي ذلك يقول الدكتور مالك يوسف المطلبي: ويبدو أن النحاة قد شغلوا بوظيفة (كان) على الزمن في صورتها المنفردة، ولم يشغلهم ائتلاف صيغتها مع

---

(1) من الآية: ٧ من سورة الممتحنة.
(2) من الآية: ٤٠ من سورة فصلت.
(3) من الآية: ١ من سورة الإسراء.
(4) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٦٨.
(5) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٤٢. القاهرة. الهيئة العامة للكتاب ط الثانية ١٩٧٩م.
(6) المرجع السابق: ص٢٤٣.

الصيغ الفعلية رغم أنهم جعلوا وظيفة كان بصيغها الثلاثة دالة على الزمن[١].

ويشير الدكتور إبراهيم السامرائي إلى أن الصيغة وحدها لا يمكن أن تحدد الزمن في كان، فالفعل (كان) في كثير من الاستعمالات لا يراد به إلا الوجود في هيئة مخصوصة، وفي زمان ما، وهو وحده بناء مفرغ من الدلالة الزمانية، وإنما يهدي فيه إلى الزمان من معنى الجملة[٢]. كما أن الدكتور عبد الرحمن أيوب قرر أن تحديد الزمن في اللغة العربية لا يتأتى إلا من ائتلاف النواسخ مع الصيغ، ما يمكن أن تصطلح عليه بالمركبات الزمنية، التي تشير إلى أشكال الحدث الزمنية وجهاته[٣].

ونظرًا لأهمية الجملة في سياقها – كما وسم الدارسون المحدثون – وبناء على ما تقدم من آرائهم رأى البحث أن تكون الجملة – مقيدة بالقيد (كان) أو إحدى أخواتها – هي محك الدرس الزمني، والبحث فيه.

وبالنظر في لغة القرآن الكريم وجدت أن الجملة المنسوخة المقيدة بـ (كان) قد جاءت وخبرها على صور متنوعة، فقد جاء مفردًا وجملة وشبه جملة وسأعرض لهذه الصور مقتصرًا في نهاية هذا العرض على صورة الخبر جملة فعلية.

أما خبرها المفرد فقد ورد اسمًا جامدًا كما في قوله تعالى: {قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا}[٤] ووصفا كما في قوله تعالى: {وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}[٥] وجاء مصدرا صريحًا كما في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}[٦] ومصدرًا مؤولاً كما في قوله تعالى: {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا}[٧] وذلك برفع فتنة فيكون المصدر المؤول من (أن وما في حيزها) في موضع نصب خبر القيد (تكن).

---

(1) د. المطلبي، الزمن واللغة: ١٥٦. القاهرة. الهيئة العامة للكتاب. ١٩٨٦م.

(2) د. السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته: ٣٠ وما بعدها. بيروت. مؤسسة الرسالة. ط الثانية ١٩٨٠م.

(3) د. أيوب، العربية ولهجاتها: ٧٩. القاهرة. معهد البحوث والدراسات العربية. ١٩٦٨م.

(4) الآية: ٥٠ من سورة الإسراء.

(5) من الآية: ١٣٤ من سورة النساء.

(6) من الآية: ١٤٧ من سورة آل عمران.

(7) من الآية: ٢٣ من سورة الأنعام.

وجاء خبر (كان) جملة اسمية وجملة فعلية: فالاسمية كما في قوله تعالى: {وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ}[1] فجملة (هي أربى) في موضع نصب خبر القيد (تكون). قال أبو حيان: وأجاز الكوفيون أن تكون (هي) عمادًا يعنون فصلاً، فيكون (أربى) خبرًا، ولا يجوز ذلك عند البصريين لتنكير أمة[2]. والفعلية منها ما يكون فعلاً مضارعًا كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ}[3] ومنها ما يكون فعلاً ماضيًا كما في قوله تعالى: {إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ}[4].

وجاء خبرها – كذلك – شبه جملة (ظرفًا وجارًا ومجرورًا). فالظرف كما في قوله تعالى: {وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}[5]، وجار ومجرورًا كما في قوله تعالى: {فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ}[6].

وبالتأمل في خبر القيد (كان) جملة فعلية تبين أنه ورد مركبا مع القيد في صورتين، هما: (كان فعل)، و(كان يفعل)، وسأقوم بعرض هاتين الصورتين مبينًا من خلالهما القيمة الزمنية التي يمكن أن يؤديها القيد مركبًا مع صيغة الخبر الفعلية.

أولاً: المركب (كان فعل)

ورد هذا المركب في لغة القرآن الكريم أربع عشرة مرة، موزعة على النحو التالي: ثمان منها في سياق شرطي، وثلاث في سياق نفي، وجاء مرتين في سياق خبري، ومرة واحدة في سياق إنشائي.

وتنبغي الإشارة إلى أن هذا العد قد خالف بعضًا مما توصل إليه الدكتور مالك المطلبي من إحصاء، وذلك إبان حديثه عن المركب (كان فعل)، حيث قال: تردد هذا المركب في النص القرآني خمس عشرة مرة جاء في عشر منها في سياق شرطي،

---

(1) من الآية: ٩٢ من سورة النحل

(2) أبو حيان، البحر المحيط: ٦/ ٥٨٨ – بيروت. دار الفكر ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(3) الآية: ١٢٠ من سورة الأنعام.

(4) من الآية: ١١٦ من سورة المائدة.

(5) من الآية: ٧٩ من سورة الكهف.

(6) من الآية: ١٠ من سورة المنافقون.

وفي اثنتين في سياق نفي، وفي اثنتين في سياق خبري مثبت، وفي واحدة في سياق إنشائي»[١].

- سياق الشرط

وقد جاء عليه قوله تعالى: {إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ}[٢]، {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ}[٣]، {وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ}[٤]، {إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ}[٥] وقوله تعالى: {إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا}[٦]، {إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ}[٧]، {وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ}[٨]، {إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي}[٩].

- سياق النفي

جاء نفي (كان فعل) عند الدكتور تمام حسان (لم يكن فعل)[١٠] وقد ورد في آيات ثلاثة، وهي كما في قوله تعالى: {فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ}[١١] وقوله تعالى: {لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ}[١٢]، وقوله تعالى: {أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ}[١٣].

---

(1) د. المطلبي، الزمن واللغة: ص٢٤٢.
(2) من الآية: ١١٦ من سورة المائدة.
(3) من الآية: ٣٥ من سورة الأنعام.
(4) من الآية: ٨٧ من سورة الأعراف.
(5) من الآية: ٧١ من سورة يونس.
(6) من الآية: ٨٤ من سورة يونس.
(7) من الآية: ٢٦ من سورة يوسف.
(8) من الآية: ٢٧ من سورة يوسف.
(9) من الآية: ١ من سورة الممتحنة.
(10) راجع: د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. جداول الزمن في نهاية الكتاب.
(11) من الآية: ٢٣ من سورة النساء.
(12) من الآية: ١٥٨ من سورة الأنعام.
(13) من الآية: ٤٤ من سورة إبراهيم.

ـ السياق الخبري

وقد تمثل في قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِن قَبْلُ}[١] وقوله تعالى: {جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ}[٢].

ـ السياق الإنشائي

وقد جاء في قوله تعالى: {فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ}[٣].

إن أول ما يلاحظ على سياق الشرط في لغة القرآن الكريم، مقيدًا بـ(كان) أنه جاء مندرجًا في إطارين:

(أولهما) تشريعي كقوله تعالى: {فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ}[٤] ويبدو من هذا السياق أنه لا زمنية محددة يمكن أن تفهم لأنه قد تضمن حكمًا شرعيًا صلح في كل زمان، وأن الأحكام الشرعية لا تتمثل في زمن دون زمن.

و(الثاني) وقد عبر عن تعليق خاص، نحو قوله تعالى: {إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ}[٥] ويبدو كما ذكر الدكتور الملطبي: أنه ليس هناك اتجاه إلى تعيين مسافة زمنية بل هناك اتجاه إلى تعيين تمام الحدوث في الماضي»[٦] والمعنى أن هذا السياق يعني القطع بعدم الإدراك الإنساني بإذاء إدراك الله تعالى، وهو إدراك مطلق لا يضاهيه إدراك. وفي هذا يقول الفخر الرازي: والمقام مقام الخضوع والتواضع ولم يقل ما قلته، بل فوض ذلك إلى علمه المحيط بالكل وهذه مبالغة في الأدب»[٧].

ولعل ما ذهب إليه الدكتور المطلبي يتضح جليا في جميع استعمالات المركب

---

(1) من الآية: ١٥ من سورة الأحزاب.
(2) من الآية: ١٤ من سورة القمر.
(3) من الآية: ٩٨ من سورة يونس.
(4) من الآية: ٢٣ من سورة النساء.
(5) من الآية: ١١٦ من سورة المائدة.
(6) المطلبي، الزمن واللغة: ٢٤٥.
(7) الرازي، مفاتيح الغيب: ٦/ ١٩٩. القاهرة. دار الغد العربي. ط أولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(كان فعل) وقد ورد في سياق الشرط، ويمكن أن نوضح ذلك من خلال عرضنا لقوله تعالى: {يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ}[1] فليس المعنى – كما هو ظاهر من الآية – إن وقع الإيمان في الماضي، وليس المعنى كذلك إن أردتم الإيمان، بل المعنى كما يقول صاحب الكشاف: إن صدقتم به وبآياته فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون»[2].

تلك هي دلالة المركب (كان فعل) في سياق الشرط، فإذا انتقل بنا الحديث إلى خارج هذا السياق نلحظ دلالة المركب الزمنية، ويتضح هذا من خلال تحليل قوله تعالى: {فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا}[3]، إذ نلمح جهة في الزمن الماضي يعبر عنها المركب كانت آمنت أي زمنًا ماضيًا أبعد من زمن حدث ماض آخر في سياق الآية نفسها. وفي هذا يقول الزمخشري: فهل كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاينة.. وقت بقاء التكاليف، ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بمخنقه[4] ومن ثم يكون هذا المركب (كان فعل) معبرًا – كما ذهب الدكتور تمام حسان – عن الزمن (الماضي البعيد المنقطع)[5].

ثانيًا: المركب (كان يفعل)

ورد هذا المركب في لغة القرآن الكريم مائتين وسبعًا وثمانين مرة، وقد ترددت صوره موزعة على النحو التالي:

١- (كانوا يفعلون)، وتردد مائة وتسعًا وخمسين مرة، كما في قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}[6]، وقوله تعالى: {وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}[7].

---

(1) من الآية: ٨٤ من سورة يونس.
(2) الزمخشري، الكشاف: ٢/ ٢٤٩، بيروت. دار الفكر. بدون.
(3) من الآية: ٩٨ من سورة يونس.
(4) الزمخشري، الكشاف: ٢/ ٢٥٣.
(5) انظر: د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ملاحق الكتاب / جدول الزمن.
(6) من الآية: ١٠ من سورة البقرة.
(7) من الآية: ٢٤ من سورة آل عمران.

٢- (كنتم تفعلون)، وتردد سبع مرات ومائة، كما في قوله تعالى: {عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ}[١]، وقوله تعالى {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ}[٢] وقوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ}[٣]..

٣- (كان يفعل)، وتردد تسع عشرة مرة، كما في قوله تعالى: {وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ}[٤] وقوله تعالى: {قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا}[٥].

٤- (كانت تفعل)، وقد تردد مرتين، قال تعالى: {وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ}[٦]، وقوله تعالى: {وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ}[٧].

وعند تحليل المركب (كان يفعل) يلاحظ أنه اعتمد على الفعل المضارع مقيدًا بـ (الكون) ليدل على جهة في الزمن الماضي، ذلك ما نص عليه كل من الدكتور مهدي المخزومي[٨]، والدكتور إبراهيم السامرائي[٩]، وهو نفسه ما أقر به الدكتور مالك المطلبي، إلا أنه أضاف ما يوضح أن هذا المركب يدل على عادة مستمرة في الماضي [١٠]. بينما ذهب الدكتور تمام حسان إلى أن هذا المركب دال على الزمن (الماضي المتجدد) [١١].

ذلك ما ذهب إليه الدارسون المحدثون، إلا أن البحث لا يرى ثمة فرقًا بين أن

---

(1) من الآية: ١٨٧ من سورة البقرة.
(2) من الآية: ١٠٦ من سورة آل عمران.
(3) من الآية: ٧٥ من سورة الشعراء.
(4) من الآية: ١٣٧ من سورة الأعراف.
(5) من الآية: ١٠ من سورة إبراهيم.
(6) من الآية: ٧٤ من سورة الأنبياء.
(7) الآية: ٤٣ من سورة النمل.
(8) د. المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه: ١٥٨.
(9) د. السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته: ٣٣.
(10) د. المطلبي، الزمن واللغة: ٢٤٨.
(11) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ملاحق الكتاب / جداول الزمن.

يكون المركب (كان يفعل) دالاً على (الماضي المستمر) أو أن تكون دلالته معبرة عن (الماضي المتجدد) وذلك كما ذهب الدكتور تمام حسان، إذ إن كليهما في المدلول واحد، اللهم إذا كان المقصود من لفظه (المتجدد) عنده تعني أن الحدث ينقطع عند نقطة زمنية غير محددة، ثم لا يلبث إلا أن يستمر بعدها، وعندئذ يتضح الفارق بين مفهوم الاستمرار والتجدد، ومن ثم يختلف المدلول.

وقد ورد هذا المركب (كان يفعل) في سياق الشرط، إلا أنه – كما يرى البحث – قد فقد دلالته الزمنية، أي دلالته على الماضي المستمر؛ إذ إنه يعبر حينئذ عن دلالة الفعل الاستمرارية، وذلك دون تحديد لأي جهة من جهات الزمن (الماضي والحاضر والمستقبل) ويتضح ذلك من قوله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ}[1]، وقوله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ}[2] وقوله تعالى: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا}[3].

ولعله من الملاحظ كما يقول الدكتور مالك يوسف المطلبي: إن مادة حدث المركب(كان يفعل) هاهنا تقتصر على مادة الإرادة والرجاء التي تدل على الرغبة»[4] لأنه كما هو معلوم أن معنى الرغبة يتطابق بطبيعة مدلوله مع دلالة الحدث الاستمرارية.

ذلك، وقد عرض أبو زكريا الفراء لقوله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ}[5] وذهب أثناء تحليله المركب (كان يفعل) (كان يريد) في سياق الشرط إلى أن القيد (كان) زائدًا، لهذا جزم الجواب وهو (نوف) بأداة الشرط (من)[6].

---

(1) من الآية: ١٥ من سورة هود.
(2) من الآية: ١٨ من سورة الإسراء.
(3) من الآية: ١١٠ من سورة الكهف.
(4) د. المطلبي، الزمن واللغة: ص٢٤٩.
(5) من الآية: ١٥ من سورة هود.
(6) انظر: الفراء، معاني القرآن: ٢/ ٥ تحقيق محمد علي النجار. القاهرة. الدار العربية للتأليف ١٩٦٦م

وقد عارض صاحب البحر المحيط رأي الفراء، بقوله: ولعله لا يصح – أي ما ذهب إليه الفراء – إذ لو كانت زائدة لكان فعل الشرط (يريد)، وكان يكون مجزوما، وهذا التركيب من مجيء فعل الشرط ماضيًا والجواب مضارعًا ليس مخصوصًا بكان، بل هو جائز في غيرها[1].

ذلك، وقد يعبر عن جهة الزمن الماضي المنقطع دون الاعتماد على مكون المركب (كان فعل) أو (كان يفعل) على حد سواء، ويتضح ذلك من قوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ}[2] فالزمن في الآية. كما هو واضح – ماض بقوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} منقطع بمجيء النبيين والمرسلين مبشرين ومنذرين.

وبعيدا عن المنحى الزمني وتفسيره قد يدل القيد (كان) على الصيرورة، ويتضح ذلك من قوله تعالى: {فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ}[3] قال أبو حيان: وكان هنا قيل: بمعنى صار[4].

ـ رتبة القيد (كان) بينه وبين معموليه

إن الترتيب بين القيد الناسخ (كان) واسمه واجب؛ إذ لا يجوز تقديم الاسم عليه، أما الخبر فإن له أحكاما اختص بها مع القيد، ذلك من حيث التقديم والتأخير. والذي لا ريب فيه أن تنوع رتبة الخبر – في سياق الجملة المقيدة – وراءه أغراض مقصودة؛ إذ إنه لو التزم بالوضع الأصلي – كما يقول الدكتور محمد حماسة – لصار الكلام ملبسًا وخرج عن الغرض المقصود[5].

ويرى الشيخ عبد القاهر الجرجاني في التقديم وجهين:

(أولهما) وهو تقديم على نية التأخير كتقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط: ٦/ ١٣٣.

(2) من الآية: ٢١٣ من سورة البقرة.

(3) من الآية: ٣١ من سورة القمر.

(4) أبو حيان، البحر المحيط: ١٠/ ٤٥.

(5) د. محمد حماسة، بناء الجملة العربية: ص٨٥.

الفاعل، نحو: (منطلق زيد)، و(ضرب عمرًا زيد) مع الحفاظ على رتبة كل منهما.

و(الثاني) وهو تقديم لنقل الشيء من حكم إلى حكم، كأن تأتي باسمين يصلح كل منهما أن يكون مبتدأ أو الآخر خبرًا، فتقدم تارة هذا على ذاك، وتارة أخرى ذاك على هذا[١].

والذي يخصنا من هذين الوجهين، هو الوجه الأول، حيث يحتفظ كل عنصر برتبته، وإن تقدم أو تأخر، ومن ثم يكون تقديم الخبر على الناسخ أو توسطه بين الناسخ واسمه أو تقديم معموله على القيد الناسخ واسمه له أسبابه التي يمكن أن نستوقف النظر عندها لذلك سأعرض الرتبة التي جاء عليها الخبر في جملة القيد الناسخ، وهي على النحو التالي:

١- تقديم خبر القيد (كان) عليه.

٢- توسط خبر القيد بينه وبين اسمه.

٣- تقديم معمول خبر القيد (كان) عليه.

٤- تقديم معمول خبر القيد (كان) على الخبر.

١ - تقديم خبر القيد (كان) عليه

يتقدم خبر القيد (كان) وجوبًا، وذلك إذا كان المتقدم مما له الصدارة في جملته، كأسماء الاستفهام، ويمثل لذلك قوله تعالى: {فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}[٢]، وقوله تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ}[٣] فـ(كيف) اسم استفهام في محل نصب خبر كان مقدمًا وجوبًا.

وقوله تعالى: {قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ}[٤] والشاهد في (فيم كنتم)، وقوله تعالى {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ}[٥] فـ(أنى) اسم استفهام في محل

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ١٠٦ وما بعدها.
(2) من الآية: ١٣٧ من سورة آل عمران.
(3) من الآية: ٧ من سورة التوبة.
(4) من الآية: ٩٧ من سورة النساء.
(5) من الآية: ٤٠ من سورة آل عمران.

نصب خبر كان مقدمًا.

وجاء الخبر ظرفًا دالاً على الشرط، وهو (أين) نحو قوله تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا}[1].

٢ توسط خبر القيد بينه وبين اسمه

يجوز توسط خبر كان بينها وبين اسمها، ويمثل له قوله تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}[2]. فـ(حقا) خبر كان مقدم، و(نصر المؤمنين) اسمها ولتوسط الخبر هنا له أهميته، حيث يبين الله تعالى أهمية الوعد الذي أخذه على نفسه بنصر المؤمنين، وفيه كما يقول أبو حيان: إظهار لفضيلة سابقة الإيمان، حيث جعلهم مستحقين النصر والظفر[3].

ويتوسط خبر القيد (كان) إذا كان جملة فعلية، كما في قوله تعالى: {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ}[4]، وقوله تعالى: {وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ}[5] والشاهد في {كَبُرَ عَلَيْكَ} و {قَدِ اقْتَرَبَ} فكلاهما جملة فعلية في محل نصب خبر القيدين (كان) و(يكون) على التوالي[6]. وذهب الزمخشري إلى أن {كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ} و {قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ} جملتان فعليتان في موضع نصب خبر القيدين كان و يكون واسمهما ضمير الشأن[7].

٣ - تقديم معمول خبر القيد عليه

ويجوز تقديم معمول خبر (كان) عليها، كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ}[8] وقوله تعالى: {ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا

---

(1) من الآية: ١٤٨ من سورة البقرة.
(2) من الآية: ٤٧ من سورة الروم.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: ٨/ ٣٩٨.
(4) من الآية: ٣٥ من سورة الأنعام.
(5) من الآية: ١٨٥ من سورة الأعراف.
(6) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: ٤/ ٤٩٢، وكذلك: ٥/ ٢٣٦.
(7) راجع: الزمخشري، الكشاف: ٢/ ١٣٣.
(8) من الآية: ١٧٧ من سورة الأعراف.

يَعْبُدُونَ}[1]، فـ(إياكم) مفعول مقدم لخبر (كان) وهو جملة (يعبدون) وقد قدم معمول خبر القيد عليه لإفادة التخصيص.

٤ - تقديم معمول خبر القيد على الخبر

أجاز النحاة تقديم معمول خبر القيد (كان) على الخبر، أي توسطه بين الاسم والخبر، كما في قوله تعالى: {وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ}[2] فـ(إيانا) معمول لخبر (كنتم) وهو جملة (تعبدون) وقد تقدم على الخبر[3].

ـ تعدد خبر القيد

ويجوز تعدد خبر (كان) كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[4] فـ(قردة) و(خاسئين) كلاهما خبر (كونوا)، ومن ثم يكونون قد جمعوا بين القردة والخسوء، وهو الذل والصغار، وقد أوجب بعضهم أن يكون (خاسئين) خبرًا ثانيًا لـ(كونوا)، ومنع أن يكون صفة لـ(قردة)، لأن جمع المذكر السالم لا يكون صفة لما لا يعقل ويجوز أن يكون (خاسئين) حالاً من اسم (كونوا) أي: مبعدين[5].

ـ الحذف في جملة القيد

أولاً: حذف (كان) واسمها

استقر لدى نحاتنا أنه يجوز حذف (كان) وبقاء خبرها، ويكثر ذلك بعد (إن ولو) الشرطيتين، ويمثل لذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ}[6] فقوله (على أنفسكم) خبر لكان

---

(1) من الآية: ٤٠ من سورة سبأ.
(2) من الآية: ٢٨ من سورة يونس.
(3) انظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤/ ٢٤٠ بيروت. دار ابن كثير ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
(4) الآية: ٦٥ من سورة البقرة.
(5) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: ١/ ٣٩٧ وما بعدها.
(6) من الآية: ١٣٥ من سورة النساء.

المحذوفة مع اسمها بعد (لو) والتقدير: (لو كانت الشهادة على أنفسكم).

وورد حذف القيد واسمه في لغة القرآن بدون (إن ولو) كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ}[1] فـ(خيرا) يحتمل أن يكون خبرًا لـ (كان) المحذوفة مع اسمها، وذلك كما قال الكسائي وأبو عبيدة والتقدير: (يكن الإيمان خيرًا)، وذهب الخليل وسيبويه إلى أن (خيرًا) مفعول به لفعل محذوف، والتقدير: (فآمنوا وأتوا خيرًا لكم)، وذهب الفراء إلى أن (خيرًا) نعت لمصدر محذوف يدل عليه الفعل الذي قبله، والتقدير (فآمنوا إيمانا خيرًا لكم)[2].

ثانيًا: حذف خبر (كان)

وأجاز بعض النحاة حذف خبر (كان) واستدلوا بقوله تعالى: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ}[3]، وذلك إذا عدت (كان) (ناقصة) لا (تامة)، ويكون التقدير عندئذ: (وإن كان من غرمائكم ذو عسرة)، ومنع ذلك أبو حيان[4].

---

(1) من الآية: ١٧٠ من سورة النساء.

(2) انظر في ذلك: أبو البقاء العكبري، إملاء ما من به الرحمن: ١/ ٢٠٤، وكذلك أبو حيان، البحر المحيط: ٤/ ١٤٢.

(3) من الآية: ٢٨٠ من سورة البقرة.

(4) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ٢/ ٧١٦.

(أصبـــح)

يعد القيد (أصبح) من أخوات (كان) التي تعمل عملها مطلقًا، وتفيد مع معموليها اتصاف ا لمخبر عنه بالخبر في وقت الصباح[١].

هذا، وقد ربط نحاتنا حصول خبرها بزمن يناسب صيغتها، أي: تم الخبر صباحًا إذا كان القيد في صورة الماضي، وسيتم صباحًا أو هو قائم صباحًا إذا كان بصيغة المضارع[٢]، وقد نص الرضي على بعض من هذا، حيث قال: فمعنى (أصبح زيد قائمًا): لزيد قيام له حصول في الزمن الماضي وقت الصبح[٣] وهذه نظرة قاصرة على صيغة القيد في صورة مبناه، أما إذا طالعناه في سياق جملته لوجدنا أن ثمة قيمة زمنية يمكن أن تلحظ من خلال فحص التراكيب المقيدة تبعًا للصورة التي ورد عليها قيدها.

والحق أن هذا المنحى التفسيري لم يعرض له في مباحث النحاة القدماء، باستثناء تلك الإشارات التي ذكرت في طيات كلامهم عن زمن الصيغة وكذلك لم يتعرض المفسرون المهتمون بدراسة المعنى الدلالي للتراكيب لمثل هذا التفسير، اللهم ما ذكره صاحب الكشاف حول المغزى الدلالي لمجيء القيد (أصبح) في صورة المضارع، وذلك في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً}[٤]، حيث قال: فإن قلت: هلا قيل فأصبحت، ولم صرف إلى لفظ المضارع؟ قلت: لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان[٥]، ويعلق الدكتور محمد أبو موسى على الآية بما يفيد ما ذهب إليه الزمخشري، حيث قال: ولدلالة الفعل أثر على الجملة؛ لأنه يفيد التجدد والحدوث، ولذلك قد يقع المضارع موضع الماضي ولا يكون الغرض منه استحضار الصورة، وإنما يشير إلى أن هذا الحدث مستمر[٦].

---

(1) الفطاني، تسهيل نيل الأماني: ٢٧.
(2) انظر: الصبان، حاشية الصبان: ١/ ٣٥٧.
(3) الإستراباذي، شرح الكافية: ٢/ ٢٩٨.
(4) من الآية: ٦٣ من سورة الحج.
(5) الزمخشري، الكشاف: ٣/ ٢١.
(6) د. أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٣٢. القاهرة. دار الفكر العربي.

حتى إن مباحث الدارسين المعاصرين التي اهتمت بفكرة البحث الزمني من خلال السياق – وذلك فيما وقع تحت يدي – لم تقدم صورة منظورة لهذا القيد، ولم يأت كلامهم عنها إلا عابرًا، ومن ذلك ما أورده الدكتور إبراهيم السامرائي أثناء مقارنته بين القيد (كان) وسائر أخواتها، حيث قال: ومثل كان سائر الأفعال التي تتصل بزمان معين.. للدلالة على أن الحدث كان مستمرًا في الزمان الماضي بزمان معين»[(١)]، وكذلك ما ذكره الدكتور مالك المطلبي مفرقًا بين القيدين (كان وأصبح) إذ يقول: إن الفرق بين (كان) و(أصبح) حين يقعان فعلين مساعدين هو أن (كان) تحتفظ بفعليتها الصرفية (الإسناد إلى الضمائر والتصرف) وتفقد فعليتها النحوية أي حدثها الفعلي تمامًا، في حين تحتفظ (أصبح) بفعليتها الصرفية وجزء من حدثها الفعلي[(٢)].

وباستقراء لغة القرآن الكريم لمتابعة التفسير الدلالي للقيد (أصبح) وذلك من خلال التراكيب التي تصدرها تبين أنه ورد بصيغتين: صيغة الماضي وصيغة المضارع، وقد تنوعت صورة الخبر مع كلتا الصيغتين على النحو التالي:

(صيغة الماضي)

وردت (أصبح) بصيغة الماضي إحدى وعشرين مرة، جاءت (ناقصة) في عشرين منها، ومرة واحدة تامة، وذلك في قوله تعالى: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ}[(٣)].

ذلك، ويمكن توزيعها ناقصة بحسب نوع خبرها على ما يلي: ورد خبرها مفردا أربع عشرة مرة، منها إحدى عشرة مرة جاء فيها مشتقا (اسم فاعل) نحو قوله تعالى:{فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ}[(٤)] وجاء جامدًا في ثلاث نحو قوله تعالى:

بدون.

(1) د. السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته: ٢٣٥.

(2) د. المطلبي، الزمن واللغة: ٢٥٦.

(3) من الآية: ٢٥ من سورة الأحقاف.

(4) من الآية: ١٨ من سورة القصص.

{فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ}[1].

وجاء خبرها جملة فعلية فعلها مضارع (مرتين)، قال تعالى: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا}[2] وقوله تعالى: {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ}[3] وجاء شبه جملة جارًا ومجرورًا أربع مرات نحو قوله تعالى: {فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ}[4].

(صيغة المضارع)

وردت (أصبح) بصيغة المضارع سبع مرات، وجاءت في ست منها (ناقصة)، ومرة واحدة تامة، وذلك في قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}[5] ولم يرد خبر (الناقصة) إلا مفردًا، كما في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً}[6]وقوله تعالى:{فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِيأَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}[7].

إن فحص التراكيب السابقة – مقيدة بالقيد (أصبح) بصيغتيه الماضي والمضارع – ينتهي إلى تقديم الملحوظات التالية:

١- في (أصبح) + اسم الفاعل (خائفًا) دلالة ثبوت صفة في الماضي صباحًا. ويتضح ذلك من تحليل قوله تعالى: {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ}[8]، إذ إن القيد (أصبح) مركبا مع اسم الفاعل (خائفًا) يدل على ثبوت صفة الخوف التي كان عليها نبي الله موسى – عليه السلام– في وقت الصبح وذلك؛ لأن دخوله – عليه السلام – المدينة كان ليلاً، ومن ثم كان

---

(1) من الآية: ٤٥ من سورة الكهف.
(2) من الآية: ٤٢ من سورة الكهف.
(3) من الآية: ٨٢ من سورة القصص.
(4) من الآية: ٢٠ من سورة القلم.
(5) الآية: ١٧ من سورة الروم.
(6) من الآية: ٦٣ من سورة الحج.
(7) من الآية: ٥٢ من سورة المائدة.
(8) من الآية: ١٨ من سورة القصص.

قتل القبطي موافقًا زمن الدخول، وهو توقيت الليل ما بين العشاء والعتمة[١].

٢- في (أصبح) + الفعل المضارع (يقلب، يقولون) نلحظ دلالة الماضي المستمر صباحا، ويتبدى ذلك من قوله تعالى: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا}[٢] فالقيد (أصبح) مركبًا مع الفعل المضارع (يقلب) يدل على أن حسرة المنفق وندمه كانا مستمرين في وقت الصبح، إذ إن الإحاطة كما يقول أبو حيان في أحد رأييه: كان ليلاً[٣].

وتتضح تلك الدلالة (الاستمرار في الماضي صباحًا) ظاهرة جلية في قوله تعالى: {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ}[٤]؛ حيث إن حديث القوم كان مستمرًا في توقيت الصباح، ويؤيد ذلك ما قاله صاحب البحر المحيط: وأصبح، إذ حمل على ظاهره، أن الخسف به وبداره كان ليلاً، وهو أفظع العذاب.. والأمس يحتمل أن يراد به الزمان الماضي ويحتمل أن يراد به ما قبل يوم الخسف، و هو يوم التمني[٥].

٣- أن القيد (أصبح) جاء وأريد به في المعنى (صار) فلا يلحظ فيه اتصاف المخبر عنه بالخبر صباحًا، بل يدل على مطلق الانتقال والصيرورة من حال إلى حال، وذلك كما في قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ}[٦] فالقيد (أصبح) جاء بمعنى (صار) ولا يراد به تقييد الخبر بالصباح. وذهب أبو حيان إلى أنها: دالة على التقييد بالصباح؛ لأن الآفات السماوية أكثر ما تطرق ليلاً فهي كقوله تعالى: {فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ} [الكهف: ٤٢][٧].

---

(1) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: ٨/ ٢٩٢.
(2) من الآية: ٤٢ من سورة الكهف.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ١٨١.
(4) من الآية: ٨٢ من سورة القصص.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: ٨/ ٣٢٨.
(6) من الآية: ٤٥ من سورة الكهف.
(7) أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ١٨٥.

(ظـــــل)

يعتبر (القيد) ظل من أخوات (كان) التي تعمل عملاً مطلقًا وتفيد مع معموليها اتصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافًا يتحقق نهارًا، أو تفيد اتصاف المخبر عنه بالخبر نهارًا [١]، وذلك في زمن يناسب صورة صيغتها.

هذا، وقد جاءت صيغة القيد (ظل) في لغة القرآن الكريم في صورتين: الماضي والمضارع. أما صورته ماضيًا فقد ورد سبع مرات[٢]، وذلك في قوله تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا}[٣] وقوله تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ}[٤] وقوله تعالى: {إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}[٥] وقوله تعالى: {وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا}[٦] وقوله تعالى: {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ}[٧] وقوله تعالى: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ}[٨] وقوله تعالى: {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ}[٩].

ووردت صورته مضارعًا مرتين، وذلك في قوله تعالى: {قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلَّ لَهَا عَاكِفِينَ}[١٠] وقوله تعالى: {إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ}[١١].

إن فحص التراكيب الواردة في الآيات السابقة ينتهي إلى تقديم ما يأتي:

---

(1) ابن عقيل، شرح ابن عقيل: ١/ ٢٦٨.

(2) قال الدكتور مالك المطلبي: وقد ترد مركب (ظل يفعل) و(ظل فاعلا) ست مرات في القرآن الزمن واللغة: ٢٥١، والحق ما أثبته البحث.

(3) من الآية: ٥٨ من سورة النحل.

(4) الآية: ١٧ من سورة الزخرف.

(5) الآية: ٤ من سورة الشعراء.

(6) من الآية: ٩٧ من سورة طه.

(7) الآية: ٦٥ من سورة الواقعة.

(8) الآية: ١٤ من سورة الحجر.

(9) الآية: ٥١ من سورة الروم.

(10) الآية: ٧١ من سورة الشعراء.

(11) من الآية: ٣٣ من سورة الشورى.

أولاً: صيغة القيد (ماضيًا مركبًا مع الخبر) جاء في نمطين:

١- القيد (ظل) + اسم الفاعل (مسودًا – خاضعين – عاكفًا).

٢- القيد (ظل) + المضارع (تفكهون – يعرجون – يكفرون).

ثانيًا: صيغة القيد (مضارعًا مركبًا مع الخبر) جاء في نمط تركيبي واحد، وهو (يظل + اسم الفاعل) (عاكفين – رواكد).

إن ثمة فروقا دلالية يمكن أن تستشف من خلال تحليل تلك الأنماط الثلاثة. فالمركب (ظل + اسم الفاعل) في قوله تعالى: {إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}[1] على ثبوت صفة في الماضي، وهي خضوع أعناقهم، هذا إذا كانت صورة القيد في الماضي، أما إذا جاء كما يقول أبو حيان: ماضيًا بمعنى المستقبل»[2] أو على حد قراءة طلحة (فتظل) [3] فإنه حينئذ يدل على ثبوت صفة في المستقبل؛ إذ إن صيغة القيد (ظل) تحولت إلى فعل مساعد يمكن من خلاله – كما يقول الدكتور مالك – تعيين جهة في القسم الزمني[4].

وبذلك التفسير الدلالي المستند إلى رأي أبي حيان، وقراءة طلحة يمكن أن ندرج تحته المركب (يظل + اسم الفاعل)، ويتضح ذلك في قوله تعالى: {إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}[5]؛ إذ إن المركب الممثل بـ (فيظللن رواكد) يدل بصورة تركيبه مع القيد (ظل) في صورة المضارع، واسم الفاعل الدال مع صيغة القيد على ثبوت صفة في المستقبل، وخير دليل يرجح ما ذهب إليه البحث أن المركب (يظل + اسم الفاعل) جاء في سياق شرطي أداته القيد (إن) الدال زمنها مع فعلها على المستقبل.

أما المركب (ظل + المضارع) فإننا نلحظ من تحليله – كما اقترح الدكتور تمام

---

(1) الآية: ٤ من سورة الشعراء.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: ٨/ ١٤٠.

(3) المصدر السابق: ٨/ ١٤٠.

(4) د. مالك المطلبي، الزمن واللغة: ص٢٥٢.

(5) الآية: ٣٣ من سورة الشورى.

حسان – أنه يدل على الماضي المستمر[١]، ويبدو ذلك من قوله تعالى: {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ}[٢].

وعارض الدكتور مالك المطلبي – وما أراه إلا متبعًا – ما اقترحه الدكتور تمام حسان، معتبرا أن المركب (كان يفعل) هو الدال على الماضي المستمر، وأن المركب (ظل يفعل) – كما يرى – يدل على حدث مستمر في الماضي مفرقا بين المركبين: إن (ظل يفعل) يدل على حدث مستمر في الماضي لا يكون عادة، فهو حدث خاص بظرف واحد، أما مركب (كان يفعل) فيدل على حدث مستمر في الماضي، يكون ما يمكن أن يسمى (الماضي التعودي)[٣].

والحق أنه ليس ثمة فرق بين أن يكون المركب (ظل يفعل) دالاً على الماضي المستمر كما اقترح الدكتور تمام حسان، أو كما ذهب الدكتور مالك المطلبي أنه يدل على حدث مستمر في الماضي؛ لأن الماضي المستمر بطبيعة حاله دال على حدث، ومن ثم لا يرى البحث ذلك التباين المفترض من الدكتور مالك.

وذهب أبو حيان – بعيدا عن دلالة الأنماط التركيبية السابقة – إلى أن القيد (ظل) يأتي وقد يراد به (صار) أي: الانتقال من حال إلى حال[٤] وذلك كما في قوله تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ}[٥].

ويحتمل أن يكون القيد بمعنى أقام نهارًا على الصيغة التي تستند إلى اسمها، وذلك؛لأن التبشير قد يكون في الليل والنهار، وقد تلحظ الحالة الغالبة، وهي أن أكثر الولادات تكون بالليل ويتأخر إخبارها المولود إلى النهار، خاصة إذا كان المولود أنثى فإن المبشر بها يظل نهاره مغتمًا مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس[٦].

---

(1) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها / جداول الزمن.
(2) الآية: ٦٥ من سورة الواقعة.
(3) د. المطلبي، الزمن واللغة: ٢٥٣.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: ٦/ ٥٤٨.
(5) الآية: ٥٨ من سورة النحل.
(6) انظر: الزمخشري، الكشاف: ٢/ ٤١٤.

(بـــــات)

من أخوات (كان) التي تعمل عملها مطلقًا القيد (بات)، وتفيد مع معموليها اتصاف اسمها بمعنى خبرها طول الليل في زمن يناسب صيغتها أو تفيد اقتران مضمون الجملة بوقتها الخاص على طريقة كان[١].

وثمة فرق بينها وبين التامة، فالتامة تأتي بمعنى فعل البيات أي: نام ليلاً، وذلك نحو قول الشاعر:

تطـــاول ليلـــك بالإثمـــد ... وبـــات الخلـــى ولم ترقـــد

وبـــات وباتـــت لـــه ليلـــة ... كليلة ذي العائر الأرمد[٢]

أما القيد (بات) ناقصا فإنه يأتي، ويفيد اتصاف الاسم بمعنى الخبر وقت البيتوتة وهو الليل.

ولم يرد القيد (بات) في الاستعمال القرآني إلا مرة واحدة. قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا}[٣].

ولعله من الملاحظ أن القيد (بات) جاء بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار، أي استمرار قيامهم وسجودهم لربنا سبحانه: والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل، يقال: فلان يظل صائمًا ويبيت قائمًا[٤].

---

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: ٧/ ١٠٥.

(2) البيتان من بحر الوافر، قالهما امرؤ القيس بن حجر الكندي، وقيل: قالهما امرؤ القيس بن عانس الصحابي. حاشية الصبان: ١/ ٣٧٢.

(3) الآية: ٦٤ من سورة الفرقان.

(4) الزمخشري: الكشاف: ٣/ ٩٩.

القسم الثاني:

وهو ما يعمل عمل القيد (كان) بشرط أن يتقدمه نفي أو ما يشبه النفي، ويندرج تحته أربعة قيود، وهي: زال وبرح وفتئ وانفك وهي تفيد – كما يقول نحاتنا –: ملازمة الخبر المخبر عنه على حسب ما يقتضيه الحال، وذلك نحو: (مازال زيد ضاحكا) و (مازال عمرو أزرق العينين) [١].

ويعني ذلك – كما يقول الدكتور مالك المطلبي: أنها تؤدي دلالة جهةفي زمن اللغة العربية بائتلافها مع الفعل أو اسم الحدث أو الصفة أو ما اصطلح على تسميته إعرابيًا (الخبر)[٢].

وتفيد هذه القيود كل في سياق جملته اتصاف اسمها بمعنى الخبر اتصافًا دائمًا لا ينقطع، أو مستمرًا إلى وقت معين ثم لا يلبث أن ينقطع[٣].

وقد بحث دارسو لغة القرآن الكريم هذه القيود مفرقين بينها وبين نفس موادها إذا وقعت أفعالا محضة، ويتضح ذلك من تطبيق أبي زكريا الفراء، حيث قال: وقوله {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ}[٤] يريد: لا أزال حتى أبلغ، لم يرد: لا أبرح مكاني. وقوله: {فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي}[٥]: غير معنى (أزال) هذه (إقامة) وقوله: {لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ}[٦]: لا نزال عليه عاكفين[٧].

ذلك، ولم يستخدم من هذه القيود الأربعة في لغة النص القرآني سوى: زال، وبرح، وفتئ.

---

(1) ابن عقيل، شرح بن عقيل: ١/ ٢٦٨.
(2) د. مالك المطلبي، الزمن واللغة: ٢٦٥.
(3) انظر: الفطاني، تسهيل الأماني: ٢٨.
(4) من الآية: ٦٠ من سورة الكهف.
(5) من الآية: ٨٠ من سورة يوسف.
(6) من الآية: ٩١ من سورة طه.
(7) أبو زكريا الفراء، معاني القرآن: ٣/ ٢٨١.

(زال)

يدل القيد (زال) بذاته وصيغته على النفي، وعدم وجود الشيء، وذلك من غير أن يحتاج إلى لفظ آخر؛ كي يؤدي دلالة هذا المعنى، فإذا سبق بنفي أو ما يشبه النفي انقلب معناها للإثبات، وذلك؛ لأن نفي النفي إثبات[1].

ذلك، وقد جاء القيد (زال) في لغة القرآن الكريم بصورتين: صورة الفعل الماضي، وقد ورد – مرتين، وذلك في قوله تعالى: {فَمَا زَالَت تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ}[2] وقوله تعالى: {فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً}[3].

وجاء مضارعًا ست مرات، و ذلك في قوله تعالى: {لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ}[4] وقوله سبحانه: {وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ}[5] وقوله تعالى:{وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ}[6] وقوله تعالى: {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}[7]، وقوله تعالى: {وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ}[8] وقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}[9].

بداية، وقبل الشروع في تحليل تلك التراكيب المتمثلة في الآيات السابقة أود أن أشير إلى أن الدكتور تمام حسان قد اقترح أن يكون المركب (مازال يفعل) دالاً على

---

(1) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل: ٧/ ١٠٦.
(2) الآية: ١٥ من سورة الأنبياء.
(3) من الآية: ٣٤ من سورة غافر.
(4) من الآية: ١١٠ من سورة التوبة.
(5) من الآية: ١٣ من سورة المائدة.
(6) من الآية: ٣١ من سورة الرعد.
(7) من الآية: ٢١٧ من سورة البقرة.
(8) من الآية: ٥٥ من سورة الحج.
(9) الآية: ١١٨ من سورة هود.

الماضي المتصل بالحاضر[١]، وقد سار الدكتور مالك المطلبي على نهج الدكتور تمام مبينا أن الصيغ الماضوية (فمازالت، فمازلتم) تدل على استمرار الحدث في نقطة معينة وانقطاعه بحدث آخر، ثم هو أيضًا... [٢].

وأشير كذلك إلى أن الدكتور تمام حسان قد سكت عن تقديم نموذج للقيد مضارعًا مركبًا مع الخبر فعلاً مضارعًا، وأعني به: المركب (لا يزال + يفعل) في حين عبر هذا المركب – في درس الزمن – عند الدكتور مالك المطلبي عن الماضي المستمر الذي سوف ينقطع بحدث يتوقع حدوثه[٣].

هذا، وقد اتفق البحث وما ذهب إليه كل من الدكتور تمام حسان والدكتور مالك المطلبي، ومن ثم يمكن إجراء ما توصلا إليه على ما ارتسم به النص ا لقرآني، موضحًا من خلال تحليل آياته السابقة ما يلي:

١- أن القيد (مازال) مركبًا مع صيغة الفعل المفترضة في قوله تعالى: {فَمَا زَالَت تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ}[٤] أي: (فمازالوا يدعون) – يدل على أن دعواهم كانت مستمرة ثم ما لبثت أن قطعت بحدث آخر تم، وهو قوله تعالى: (جعلناهم) مقيدًا بـ (حتى) التي ساعدت على حركة انقطاع الحدث. وما قيل.. يقال – كذلك – في قوله تعالى: {فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ}[٥].

٢- أن القيد (لا يزال) مركبًا مع الخبر فعلها مضارعًا، أعني المركب (لا يزال يفعل) في قوله تعالى: {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا}[٦] يدل على أن قتال الكافرين للمؤمنين مستمر إلى أن يقطع بحدث متوقع حدوثه، ويكمن ذلك الحدث المتوقع الحدوث في ارتداد المقاتلين المؤمنين، وذلك إن

---

(1) انظر: د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ملاحق الكتاب / جداول الزمن.
(2) د. مالك المطلبي، الزمن واللغة: ٢٦٧.
(3) المرجع السابق: ٢٦٧.
(4) الآية: ١٥ من سورة الأنبياء.
(5) من الآية: ٣٤ من سورة غافر.
(6) من الآية: ٢١٧ من سورة البقرة.

استطاعوا. وما قيل في قوله تعالى السابق يقال في قوله سبحانه: {وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ}[1].

٣- أن ثمة دلالة زمنية يمكن أن يضيفها البحث – وإن لم يخرج كثيرا عما قرره الدكتور مالك – وهذه الدلالة تكمن في المركب (لا يزال + اسم الفاعل) الدال على الماضي المستمر غير متوقع الانقطاع، ويمكن تمثيل ذلك بقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}[2]، إذ إن اختلاف الناس قديم قدم وجودهم على ظهر الأرض، بل مستمر كذلك، ولا يمكن انقطاعه؛ لأن اختلافهم سنة من سنن الله تعالى في الأرض إلى أن يرثها ومن عليها.

---

(1) من الآية: ٣١ من سورة الرعد.

(2) الآية: ١١٨ من سورة هود.

(بـــــرح)

وهو ما يعمل عمل القيد (كان) بشرط أن يتقدمه نفي أو ما يشبه النفي، ويفيد مع معموليه اتصاف اسمه بمعنى الخبر اتصافًا مستمرًا[١]، وقد ينقطع.

هذا، وقد ورد القيد في لغة القرآن الكريم مضارعًا مرتين، وذلك في قوله تعالى: {قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى}[٢] وقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا}[٣].

ويعد القيد (برح) مركبا مع الخبر اسم الفاعل مثل القيد (لا يزال) في أنه يدل في السياق على الماضي المستمر الذي سوف ينقطع بحدث متوقع، ويتضح ذلك من خلال تحليل قوله تعالى: {قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى} إذ يبدو من قوله تعالى.. أن بني إسرائيل قد استمروا على ما صنعه السامري عابدين، حتى رجع إليهم سيدنا موسى عليه السلام. أي أن عبادتهم مستمرة من الماضي وسوف تنقطع بحدث متوقع، هو رجوع نبي الله موسى عليه السلام.

ولعلنا نلمح من كلام أبي حيان قيمة القيد (حتى) حيث دوره في إبراز نقطة توقع انقطاع الحدث، وذلك إبان تعليقه على قيد النفي (لن) في قوله تعالى: {لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ} حيث قال: ولن لا تفيد تأبيدًا كما هو مذهب الزمخشري؛ إذ لو كانت كذلك ما أجاز أن يقيد بحتى وهي للغاية[٤].

---

(1) انظر: الأردبيلي، شرح الأنموذج: ١٥٣.

(2) الآية: ٩١ من سورة طه.

(3) الآية: ٦٠ من سورة الكهف، وذلك على رأي من قال: إن (لا أبرح) في الآية (ناقصة بمعنى (لا أزال) واسمها ضمير مستتر يعود على موسى عليه السلام وخبرها محذوف لفهم المعنى الدال عليه التغيية بالقيد (حتى)، والتقدير: لا أبرح سائرا أو أسير حتى أبلغ. انظر: أبو حيان، البحر المحيط: ١٩٨/٧ وما بعدها. ذلك بخلاف التامة التي وردت مرة واحدة في القرآن الكريم، حيث جاءت بمعنى (لن أفارق)، وذلك في قوله تعالى على لسان كبير أخوة يوسف عليه السلام {فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي} من الآية ٨٠ من سورة يوسف.

(4) أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ٣٧٤.

(فتئ)

تعد (فتئ) مثل القيدين (زال، وبرح) من حيث عملها والشروط المقيدة بها، إلا أن حرف النفي معها يكون مقدرًا، ولا يمكن ذلك إلا إذا كانت بصورة المضارع الواقع في جواب القسم، ذلك وتفيد مثل أخواتها ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلا لها على حسب ما قبلها[١].

وقد ورد القيد (فتئ) في لغة القرآن الكريم بصورة المضارع المحذوف نفيه مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى على لسان أخوة يوسف عليه السلام {قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ}[٢].

ويبدو – كما هو واضح من الآية – أن القيد مركبًا مع الخبر فعلاً مضارعًا يدل على أن الحدث لا يزال مستمرًا، وسوف ينقطع بحدث آخر متوقع، أو كما قال صاحب الكشاف أثناء تفسيره هذه الآية: ستستمر على هذه الحال إلى أن تكون مشفيًا على الهلاك[٣].

---

(1) السيوطي، همع الهوامع: ١/ ٤١٢.
(2) الآية: ٨٥ من سورة يوسف.
(3) الزمخشري: الكشاف: ٢/ ٣٣٩ بتصرف.

القسم الثالث:

وهو ما يعمل عمل كان شريطة أن تتقدمه (ما) المصدرية الظرفية وهو القيد (دام) التي تفيد بدخول (ما) عليها التوقيت، وسميت (ما) بالمصدرية الظرفية؛ لأنها تقدر مع الفعل بالمصدر، وسميت ظرفية لنيابتها عن الظرف، وهو المدة، والتقدير: مدة دوامي[١]. وتقيد الجملة بالقيد (مادام) لإفادة توقيت أمر بمدة ثبوت خبرها لاسمها[٢] أو أنها تفيد مع معمولها استمرار المعنى الذي قبلها مدة محدودة، هي مدة ثبوت معنى خبرها لاسمها.

وقد ورد القيد (دام) في لغة القرآن الكريم خمس مرات، ومن ذلك قوله تعالى: {وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا}[٣] وقوله تعالى: {وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا}[٤] وقوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا}[٥]

ويعلق صاحب البحر المحيط على قوله تعالى: {إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا} مبرزا دلالة القيد المتصدر الجملة بقوله: لما تكرر عليهم أمر القتال كرروا الامتناع على سبيل التوكيد.. وقيدوا – أولاً – نفي الدخول بالظرف المختص بالاستقبال، وحقيقته التأبيد، وقد يطلق على الزمان المتطاول، فكأنهم نفوا الدخول طول الأبد، ثم رجعوا إلى تعليق ذلك بديمومة الجبارين فيها، فأبدلوا زمانًا مقيدًا من زمان هو ظاهر في العموم في الزمان المستقبل[٦].

وتستعمل (دام) تامة، وحينئذ لا تكون قيدًا على الجملة بل تصير ركنًا أساسا من ركنيها، وذلك إذا كانت بمعنى (بقي)، كما في قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ}[٧]

---

(1) راجع: ابن يعيش، شرح المفصل: ٧/ ١١.
(2) الأردبيلي، شرح الأنموذج: ١٥٣.
(3) من الآية: ٣١ من سورة مريم.
(4) من الآية: ٩٦ من سورة المائدة.
(5) من الآية: ٢٤ من سورة المائدة.
(6) أبو حيان، البحر المحيط: ٤/ ٢٢٠.
(7) من الآية: ١٠٨ من سورة هود.

ثانيًا: كاد وأخواتها

هي أدوات تدخل على الجملة الاسمية فتقيدها – مثل كان وأخواتها – ومن ثم يصير الخبر معها منصوبا، ويسمى خبرها، كما أن المبتدأ يسمى اسمها. غير أن خبرها لا يكون إلا جملة فعلية فعلها مضارع، مقرون بأن مع بعضها، ومجرد منها مع البعض الآخر. وترجع تسميتها بأفعال المقاربة؛ لأن (كاد) وهي إحدى أخواتها جعلت عنوانا لبابها، وكما هو معلوم أنها تدل على مقاربة حصول الخبر، لذلك أطلقت اللفظة (المقاربة) على سائر أخواتها تغليبا كالقمرين والأسودين[1] والواقع أن هذه الأدوات تنقسم بحسب معناها إلى ثلاثة أقسام.

الأول منها: ما وضع للدلالة على قرب حصول الخبر، وهو ثلاث أدوات: كاد وكرب وأوشك، ولم يرد منها في سياق النص القرآني إلا القيد (كاد).

الثاني: ما وضع للدلالة على رجاء حصول الخبر، وهو – أيضًا – ثلاث أدوات: حرى واخلولق وعسى، ولم يستخدم في لغة القرآن منها سوى الأخير، وهو القيد (عسى).

الثالث: ما وضع للدلالة على الشروع في حدوث الخبر، وهو أدوات كثيرة أشهرها: أنشأ وعلق وأخذ وهب، وقام وجعل وطفق وشرع، والمستعمل من هذه الأدوات في لغة القرآن الكريم القيدان (طفق وقام)[2].

---

(1) راجع: الصبان، حاشية الصبان: ١/ ٤٠٥.

(2) وذلك بخلاف ما زعمه الدكتور مالك يوسف المطلبي؛ إذ إنه قال يخلو الاستعمال القرآني من مورفيمات الشروع خلوا تاما، والمستعمل منها هو الفعل، كقوله تعالى {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ} من الآية: ١٥٤ من سورة الأعراف، وقوله: {وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى} من الآية: ٤٠ من سورة التوبة، وقوله: {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ} من الآية: ١٤١ من سورة الأنعام وقوله: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى} من الآية: ١٤٢ من سورة النساء. الزمن واللغة: ص٢٨٦

من أدوات المقاربة (كاد)

القيد (كاد) من أدوات المقاربة، ويفيد قرب زمن وقوع الخبر من الاسم قربا كبيرا، وقد يقع الخبر أو لا يقع، بل قد يستحيل وقوعه، وذلك ما في قوله تعالى: {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}[1].

وجاء القيد في لغة القرآن الكريم بصيغتي: الماضي وقد ورد عشر مرات، والمضارع وقد ورد أربع عشرة مرة.

والغالب في خبر القيد (كاد) التجرد من (أن)؛ لأنها تدل على شدة مقاربة الفعل، وهذا يقرب الفعل من الشروع في العمل والأخذ فيه، لهذا لم يناسب خبرها أن يقترن بـ (أن) [2]؛ لأن نحاتنا – رحمهم الله – ذكروا أن (أن) تخلص الفعل للاستقبال وهو ما يتنافى مع بدء الشروع في العمل، ولا يخفى ما ذكروه – أيضًا – عنها من أنها علم الاستقبال وهكذا لم يرد خبرها في سياق النص القرآني إلا كذلك، نحو قوله تعالى: {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ}[3].

وجاء خبرها – أيضًا – مجردًا من (أن) مقترنا باللام الفارقة كما أطلق عليها نحويونا. قال أستاذنا الدكتور طه الجندي إنها: اللام التي تقع بعد (إن) المخففة من الثقيلة لتفرق بينها وبين (إن) التي تستخدم للنفي، ولذلك سميت بالفارقة.. ونظرًا لأهميتها لا يجوز حذفها[4] وذلك كما في قوله تعالى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا}[5]، وقوله تعالى {قَالَ تَاللهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ}[6].

وقد استعمل القيد (كاد) ماضيًا مركبًا مع الخبر بصورتين: صورة الإثبات، وقد عبر عنها بالمركب: (كاد + يفعل)، وصورة النفي، وقد احتواها المركبان (ما كاد +

---

(1) من الآية: ٣٥ من سورة النور.
(2) راجع: الأزهري: شرح التصريح: ١/ ٢٠٦.
(3) من الآية: ٢٠ من سورة البقرة.
(4) الهروي، كتاب اللامات. دراسة وتحقيق د. طه الجندي: ٣٢١. رسالة ماجستير. مخطوطة بدار العلوم ١٩٨٣.
(5) من الآية: ١٠ من سورة القصص.
(6) الآية: ٥٦ من سورة الصافات.

يفعل)، و (لم يكد + يفعل)، لذلك سأعرض لهذين المركبين مبينا القيمة الدلالية المنعكسة جراء تفاعلهما وسياق النص القرآني.

كاد في الإثبات (كاد + يفعل):

ورد المركب (كاد يفعل) في الاستعمال القرآني تسع مرات، وذلك في قوله تعالى: {مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ}[1]، وقوله تعالى: {إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا}[2] وقوله تعالى: {إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا}[3]، وقوله تعالى: {قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي}[4]، وقوله تعالى {وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}[5]، وقوله تعالى: {وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ}[6] وقوله تعالى: {وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً}[7]، وقوله تعالى {قَالَ تَاللهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ}[8] وقوله تعالى: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا}[9].

إن فحص وتحليل النصوص الوارد ذكرها ينتهي إلى:

١- أن الحدث قارب الوقوع، ولكنه لم يقع، وأن ثمة قيدًا آخر في سياق النصوص – وإن لم يكن هذا عاما – يشير إلى عدم الوقوع. وهو (لولا) التي نلحظ أن الحدث ينعدم وقوعه بوجودها.

٢- أن التركيب (كاد + يفعل) يميل إلى تحقق وقوع الحدث، وذلك بتضافر قيد آخر يقوم بهذه الوظيفة، وأعني بهذا القيد (لقد)، التي أفادت بدخولها على القيد

---

(1) من الآية: ١١٧ من سورة التوبة.
(2) من الآية: ٤٢ من سورة الفرقان.
(3) من الآية: ١٠ من سورة القصص.
(4) من الآية: ١٥٠ من سورة الأعراف.
(5) من الآية: ٧٣ من سورة الإسراء.
(6) من الآية: ٧٦ من سورة الإسراء.
(7) الآية: ٧٤ من سورة الإسراء.
(8) الآية: ٥٦ من سورة الصافات.
(9) الآية: ١٩ من سورة الجن.

(كاد) توكيد قرب الحدوث، مما يجعلنا نشعر بتحققه لولا إرادة الله تعالى. وقد ذهب الزمخشري إلى أن هذا تهييج من الله له وفضل تثبيت[١].

٣- أن دخول القيدين (إن) المخففة المؤكدة و(اللام) الفارقة المؤكدة على القيد (كاد) مركبا مع الخبر كما في قوله تعالى: {إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} وقوله تعالى: {وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ} يبرز مؤكدا قرب الوقوع؛ حيث إن اللام الفارقة هذه وهي تفيد التوكيد – عند البصريين – عوض عما فقدته (إن) المشددة وذلك بعد تخفيفها[٢].

وحري بالبحث أن يشير إلى أن الدكتور تمام حسان قد جعل المركب (كاد يفعل) دالاً على الماضي المقاربي، وأن نفيه يعبر عنه المركب (لم يكن يفعل) [٣]. بينما ذهب الدكتور مالك المطلبي إلى أن دلالة الماضي المقاربي صحيحة من حيث تميز دلالة الحدث المعنوية لا من حيث دلالته الزمنية»[٤] لذلك يدل المركب (كاد يفعل) عنده على أن الحدث قارب الوقوع في الماضي (غير المحدد) ولم يقع، مثله من الناحية الزمنية مثل المركب (لم يفعل)[٥].

كاد في النفي (ما كاد يفعل). (لم يكن يفعل)

جاء في لغة القرآن الكريم شكلان لنفي المركب (كاد يفعل)، الأول: (ما كاد يفعل) وقد ورد مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: {قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ}[٦] والثاني: (لم يكد يفعل)، وقد ورد – كذلك – مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: {ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا}[٧] ذلك ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني

---

(1) الزمخشري، الكشاف: ٢/ ٤٦٠.
(2) انظر: ابن الأنباري، الإنصاف: ٢/ ٦٤٠ – ٦٤٣. المسألة التسعون.
(3) د. تمام حسان، اللغة العربية: ملاحق الكتاب / جداول الزمن.
(4) د. المطلبي، الزمن واللغة: ٢٥٨.
(5) المرجع السابق: ٢٨٦.
(6) من الآية: ٧١ من سورة البقرة.
(7) من الآية: ٤٠ من سورة النور.

مستندًا إلى ما أورده البحث من النصوص القرآنية[١].

وذهب الرضي إلى أن نفي القيد (كاد) إثبات، وإثباته نفي[٢]، ذلك مما جعل الدكتور مالك المطلبي يوجه النقد إلى حقل التوزيع في جدول الدكتور تمام حسان حيث ذهب إلى أن المركب (كاد يفعل) دال على الماضي المقاربي المثبت، وأن (لم يكد يفعل) للدلالة على الماضي المقاربي المنفي، بينما ذهب الدكتور المطلبي إلى أن عكس ما ذهب إليه هو الصحيح[٣].

وأغلب الظن أن الذين ذهبوا إلى أن نفي كاد إثبات فهموا أن قوله تعالى {فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} قد اشتمل على تصوير لحالة واحدة في زمان واحد، أي أنهم ذبحوا البقرة فعلاً ولكن بمشقة بالغة، أو كما علل صاحب الكشاف إبان تفسير هذه الآية[٤].

وفي الحقيقة – كما يقول الدكتور أحمد الحوفي – لأن الإثبات لم يفهم من قوله تعالى {وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} بل فهم من قوله تعالى {فَذَبَحُوهَا}[٥]؛ إذ إن النفي لا يزال نفيا وإن كان مشعرًا بالاستثقال والاستبطاء.

أما في قوله تعالى: {ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا}[٦] فإننا نجد أن هذه الظلمات المتراكمة إذا أحاطت بإنسان وأخرج يده فيها لم يقارب أن يراها أو لم يرها، أي أن الفعل -كما يقول عبد القاهر الجرجاني-. لم يكن من أصله، ولا قارب أن يكون، ولا أظن أنه يكون[٧].

ذلك.. أما إذا انتقل بنا البحث إلى القيد (يكاد) مضارعًا مركبًا مع الخبر فإنه يلحظ أنه جاء – أيضًا – بصورتين: صورة الإثبات: وقد مثلت بالمركب (يكاد +

---

(1) الجرجاني: دلائل الإعجاز: ٢٧٥.
(2) الرضي الإستراباذي، شرح الكافية: ٢/ ٣٠٦.
(3) د. المطلبي، الزمن واللغة: ٢٦١.
(4) انظر: الزمخشري، الكشاف: ١/ ٢٨٨، وما بعدها.
(5) د. أحمد الحوفي، مقالة معنى (كاد) في الإثبات والنفي، مجلة المجمع: ٣٣/ ٦٢.
(6) من الآية: ٤٠ من سورة النور.
(7) الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٢٧٥.

يفعل)، و صورة النفي ويعبر عنها المركب (لا يكاد + يفعل).

القيد (يكاد) في الإثبات (يكاد + يفعل)

ورد المركب (يكاد { يفعل) في لغة القرآن الكريم بصور متعددة تسع مرات، ومنها: قوله تعالى: {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ}[١] وقوله تعالى: {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ}[٢] وقوله تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا}[٣] وقوله تعالى: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ}[٤]، وقوله تعالى: {وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ}[٥].

إن فحص وتحليل النصوص السابقة يؤدي إلى:

١- أن المركب (يكاد يفعل) بصوره المتعددة يدل على أن الحدث يقارب الوقوع في الحاضر»[٦]

٢- أن تقييد المركب (يكاد يفعل) بالقيدين (إن) المخففة المؤكدة و«اللام الفارقة المؤكدة في قوله تعالى: {وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ}[٧]. يؤكدان قرب وقوع الحدث في الحاضر.

القيد يكاد في النفي (لا يكاد + يفعل)

ورد المركب (لا يكاد { يفعل) في الاستعمال القرآني أربع مرات، وذلك كما في قوله: {فَمَا لِهَؤُلاءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا}[٨] وقوله تعالى: {وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً}[٩] وقوله تعالى: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ}[١٠].

---

(1) من الآية: ٢٠ من سورة البقرة.
(2) من الآية: ٣٥ من سورة النور.
(3) من الآية: ١٥ من سورة طه.
(4) من الآية: ٥ من سورة الشورى.
(5) من الآية: ٥١ من سورة القلم.
(6) د. المطلبي، الزمن واللغة: ٢٨٦.
(7) من الآية: ٥١ من سورة القلم.
(8) من الآية: ٧٨ من سورة النساء.
(9) من الآية: ٩٣ من سورة الكهف.
(10) الآية: ٥٢ من سورة الزخرف.

إن تحليل النصوص السابقة ينتهي بنا إلى:

١- أن المركب (لا يكاد يفعل) يدل على نفي قرب وقوع الحدث الممتد من الماضي إلى الحاضر.

٢- أن دخول القيد (لا) النافية على القيد (يكاد) جعل الزمن يمتد نفيه من الحاضر إلى المستقبل.

ولم تعرض المباحث المعاصرة – وذلك فيما وقع بين يدي – للمركبين السابقين هذا بخلاف ما أورده الدكتور مالك المطلبي من أن المركب لا يكاد يفعل في الإثبات يدل على الحاضر المقاربي، وقد اتفق البحث وما ذهب إليه، واتفق. كذلك معه على أن المركب لا يكاد يفعل يدل على نفي الحاضر المقاربي[1]، غير أنه يرى أن تضاف إلى المركب لا يكاد يفعل نقطة تجعله دالاً على نفي وقوع الحاضر المقاربي الممتد من الماضي.

(1) انظر: الزمن واللغة: ٢٨٧.

من أدوات الرجاء (عسى)

من الأدوات الدالة على ترقب وقوع الخبر ورجاء تحققه القيد (عسى) وهو فعل ماض جامد في اللفظ فقط وذلك؛ لأن زمنها في المستقبل، ولا يتحقق معناها إلا فيه، فإذا كانت كاد تفيد: تقريب الشيء في الحال فإن (عسى) أذهب في الاستقبال»[١] لذلك كان زمن المضارع الواقع في خبرها مستقبلا[٢]. وقد يكون سبب كونه دالاً على الاستقبال اقترانه بـ أن المصدرية، وهو الفصيح الغالب[٣] في الاستعمال.

ومن أحوال عسى أنه إذا تقدم عليها اسم هو الفاعل في المعنى وتأخر عنها أن والفعل، نحو: زيد عسى أن ينجح جاز تقديرها خالية من ضمير ذلك الاسم، فتكون تامة رافعة للمصدر المؤول من أن والفعل مستغني به عن الخبر؛ لأنها عندئذ تكون جزءًا من عنصري الإسناد في الجملة نفسها غير أن لغة التمام هذه ليست محل دراستنا.

كما أنه جاز أن يؤتي معها بضمير مطابق للاسم المتقدم، فتكون – حينئذ – ناقصة، والضمير والمصدر المؤول خبرها. ويظهر التقديران في التأنيث والتثنية والجمع، فيقال مثلا: الزيدون عسى أن ينجحوا، وعسوا أن ينجحوا، وعدم تقدير الضمير فيها هو الأفصح، والدليل على ذلك قوله تعالى: {**لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ**}[٤] إذ جاءت عسى في الموضعين من الآية خالية من الضمير، ولو أضمر لقال: عسوا أن يكونوا، وعسين أن يكن[٥].

وإلى ذلك كله أشار ابن مالك بقوله:

---

(1) الجرجاني، المقتصد: ١/ ٤٦١. تحقيق كاظم بن مرجان. العراق. دار الرشيد ١٩٨٢م.
(2) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل: ٧/ ١١٨.
(3) انظر: الصبان: حاشية الصبان: ١/ ٤٠٧.
(4) من الآية: ١١ من سورة الحجرات.
(5) انظر: ابن عقيل، شرح بن عقيل: ١/ ٣٤٣.

وجـــرِّدن عـــسى أو ارفـــع مـــضمرًا بها إذا اسمٌ قبلها قد ذكرا[1]

وتستعمل عسى للترجي في كلام العرب وفي التنزيل أكثر من استعمالها للإشفاق[2]، وذلك كما في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا}[3].

ففي قوله تعالى السابق جاءت (عسى) مقيدًا للجملة بمعنى الرجاء، وفي ذلك قال صاحب الكشاف: (عسى أن ينفعنا) لعله إذا تدرب وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وأمانته»[4].

وذكر الجوهري: أن عسى من الله واجبة لاستحالة الطمع والإشفاق عليه تعالى[5] وقال أبو حيان: وقالوا: كل عسى في القرآن للتحقيق، يعنون به الوقوع إلا في قوله تعالى: {عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا}[6] لأنها هنا بمعنى التخويف لا للخوف والإشفاق»[7].

وجاءت في لغة القرآن الكريم للإشفاق لا للترجي، ومجيئها للإشفاق قليل[8] ومثل لذلك قوله تعالى: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}[9] ولكنها تامة لا تحتاج إلى خبر؛ إذ لو كانت ناقصة لكانت مثل قوله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ}[10] وقوله تعالى: {قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا}[11].

---

(1) ابن مالك، ألفية بن مالك: ٤٥. القاهرة. مكتبة الآداب ١٩٨٤م.
(2) انظر: الصبان، حاشية الصبان: ٧/ ٤٠٥.
(3) من الآية: ٢١ من سورة يوسف.
(4) الزمخشري، الكشاف: ٢/ ٣١٠.
(5) الرضي، شرح الكافية: ٢/ ٣٠٢.
(6) من الآية: ٥ من سورة التحريم.
(7) أبو حيان، البحر المحيط: ٢/ ٣٨٠.
(8) المصدر السابق: ٢/ ٣٨٠.
(9) من الآية: ٢١٦ من سورة البقرة.
(10) من الآية: ٢٢ من سورة محمد.
(11) من الآية: ٢٤٦ من سورة البقرة.

من أدوات الشروع (طفق وقام)

من الأدوات الدالة على أول الدخول في الشيء، أو بدء التلبس به القيدان (طفق وقام). وهما فعلان ماضيان في الظاهر وذلك؛ لأن زمنهما دال على الحال.

ويمتنع مع خبريهما، وسائر أدوات الباب الدالة على الشروع الاقتران بأن المصدرية؛ لأنها تدل - بدخولها- على الاستقبال، وهذا ينافي ما عليه هذه الأدوات من الحاضر، وإلى ذلك يشير ابن مالك وشارح ألفيته ابن عقيل، حيث قالا: وترك أن مع ذي الشروع واجب لأن المقصود به الحال و(أن) للاستقبال[1].

ذلك وقد ورد القيد (طفق) في لغة القرآن الكريم ثلاث مرات، وذلك في قوله تعالى: {رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ}[2]، وخبر القيد هنا محذوف دل عليه المصدر (مسحا) إذ التقدير: (فطفق يمسح مسحا) [3]، وقوله تعالى: {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ}[4].

أما القيد (قام) فلم يرد في لغة التنزيل دالاً على الشروع إلا في قوله تعالى: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا}[5]، إذ يرى البحث أن الجملة الفعلية (يدعوه) في محل نصب خبرها، ولا يتفق وما ذهب إليه بعض المعربين[6]، حيث أعربوا الجملة (يدعوه) في محل نصب على الحال، وذلك؛ لأن جملة (يدعوه) - كما يرى البحث - عمدة في سياق المعنى، وأن الحال كما قرر النحاة أنه وصف فضلة مسوق لبيان هيئة صاحبه[7]، ومصطلح الفضلة: كما هو معلوم ما تركب من عناصر لغوية خارجة عن عملية الإسناد بعنصريها.

---

(1) ابن عقيل،... شرح ابن عقيل: ١/ ٣٣٧.
(2) من الآية: ٣٣ من سورة ص.
(3) انظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن: ٣/ ٤٦٣.
(4) من الآية: ٢٢ من سورة الأعراف، والآية: ١٢١ من سورة طه.
(5) الآية: ١٩ من سورة الجن.
(6) انظر في ذلك القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم: ١٠/ ٦٨١٥، وكذلك محي الدين الدرويش، إعراب القرآن: ١٠/ ٢٤٤.
(7) ابن هشام، شرح شذور الذهب: ٦٩.

إن فحص وتحليل النصوص السابقة ينتهي بنا إلى:

١- أن المركب (طفق + قام + يفعل) يدل على أن زمن الحدث بدأ منذ وقت قصير جدا.

٢- أن المركب (طفق + قام + يفعل) يدل على أن زمن الحدث هو الحاضر المشعر بأنه غير منقطع، الملتقي بالماضي القريب.

ذلك وقد تناول الدارسون المحدثون أفعال الشروع بالدراسة مبرزين الجهة الزمنية المعبر عنها المركب الشروعي. حيث اقترح الدكتور تمام حسان أن يكون المركب (طفق يفعل) دالاً على الماضي الشروعي[١]، مستندًا في اقتراحه إلى صيغة الفعل نفسها.

وقد نقد الدكتور مالك المطلبي ما استند إليه الدكتور تمام حسان، قائلاً: والصحيح أن نطلق على هذا المركب: (الحاضر الشروعي)[٢]. والظاهر كما هو بين أن نقده لما ذهب إليه الدكتور تمام يعتمد على ما قرره النحاة من أن فعل الشروع يمتنع اقتران خبره بـ (أن) الدالة على الاستقبال، مما جعل زمنه دالاً على الحاضر المتلبس بمعنى الشروع.

وقد اتفق البحث في تحليله السابق وما ذهب إليه الدكتور المطلبي، مضيفا إليه تلك النقطة التي استند إليها الدكتور تمام، والمعبر عنها الدكتور محمود شرف الدين إبان حديثه عن أدوات الشروع، حيث قال: وطفق تعبر عن الشروع في الفعل الذي بدأ منذ وقت قصير جدًا»[٣].

---

(1) انظر: د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ملاحق الكتاب / جدول الزمن.

(2) د. مالك المطلبي، الزمن واللغة: ٢٨٣.

(3) د. شرف الدين، وظيفة الأداة في الجملة كما تبدو في القرآن الكريم: ١/ ٩٢-٩٧ رسالة دكتوراه بدار العلوم.

المبحث الثاني

إن وأخواتها

من الأدوات التي تختص بالدخول على الجملة الاسمية وتكون لها الصدارة إن وأخواتها وهي حروف تدخل على الجملة فتقيدها لفظًا ومعنى. أما التقييد اللفظي فإنه يتمثل في ذلك التغيير الذي يطرأ على المبتدأ، إذ يصير معها منصوبا ويسمى اسمها، في حين يظل الخبر معها مرفوعا ويسمى خبرها. أما التقييد المعنوي فإنه يعبر عن المعاني المفادة التي تضفيها هذه الأدوات جراء التقييد بها: حيث التوكيد، والاستدراك، والتشبيه، والتمني، والترجي وغير ذلك مما أثبته البحث لهذه الحروف..

ذاك وقد اختلف النحاة في عددها، فمنهم من عدها خمسة معتبرا أن الحرفين (إن وأن) واحد باعتبار أنه يكسر في مواضع ويفتح في مواضع أخرى، ومنهم من عدها ستة معتبرا أنهما متغيران[1]، وحول هذا خلاف يرى البحث أنه لا طائل من ورائه؛ إذ إنها على كل حال محصورة في هذه الحروف: إن بكسر الهمزة، وأن بفتحها، ولكن، وكأن، وليت، ولعل.

(إن وأن)

تقيد الجملة الاسمية بـ (إن وأن) لتوكيد النسبة ونفي الشك عنها، أي: لتأكيد نسبة الخبر إلى المبتدأ ورفع الشك عنها، فكلا الحرفين في تحقيق هذا الغرض مستويان، والتأكيد بهما يدل على تقوية الحكم عند المخاطب أو على أنه محقق[2]. والمتأمل لهذين القيدين في الاستعمال القرآني يتبين أن الغرض الدلالي فيهما متحقق في كل التراكيب القرآنية، وهو أمر أجمع نحويونا عليه، ولذا أكتفى بشواهد لهما.

---

(1) انظر: السيوطي، همع الهوامع: ١/ ٤٨٤.

(2) انظر: الفطاني، تسهيل نيل الأماني في شرح عوامل الجرجاني: ١١

ففي قوله تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ}[1] يلحظ أنها في الموضعين دلت على تأكيد المغفرة والعقوبة، ولعل المتأمل يلحظ – كذلك – أن دخول اللام لام الابتداء على الخبر زاد هذا التأكيد ورفعه درجة.

وما قيل في قوله تعالى السابق يقال كذلك في قوله: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ... فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ... قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ}[2] إذ نلحظ في هذه الآيات أن التأكيد جاء بأروع صوره ظاهرة، وفي ذلك يسجل الزمخشري ملاحظته قائلا: فإن قلت لم قيل: (إنا إليكم مرسلون) أولاً، (وإنا إليكم لمرسلون) آخرًا؟ قلت: لأن الأول ابتداء إخبار، والثاني جواب عن إنكار»[3].

وقال الدكتور أحمد الحوفي موضحًا ما ذهب إليه الزمخشري: إن الخبر إن كان لخالي الذهن لا يؤكد، فإن كان لشاك أكد بمؤكد واحد، فإن كان لمنكر أكد بمؤكدين[4].

وكما أن القيد (إن) جاء مقيدًا للجملة ودلالته التوكيد والتحقيق فإنه كذلك يؤتي به للتعليل[5] وذلك كما في قوله تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا}[6] وقوله تعالى: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}[7].

ويوضح الدكتور طه الجندي، أن معنى التعليل يفهم عندما ترتبط (إن) مع معموليها بالجملة قبلها، وتتحد معها في قالب واحد[8]. هذا وقد فسر الضوابط

---

(1) من الآية: ٦ من سورة الرعد.
(2) الآيات من (١٣-١٦) من سورة يس.
(3) الزمخشري، الكشاف: ٣/ ٣١٨.
(4) الحوفي، الزمخشري: ٢٢١. القاهرة. الهيئة العامة للكتاب. الطبعة الثانية.
(5) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٥٦.
(6) الآية: ١٠ من سورة نوح.
(7) من الآية: ٥٣ من سورة يوسف.
(8) د. طه الجندي، مقالة المكونات التركيبية والدلالية لظاهرة التعليل في العربية، مجلة دار

التي إن توفرت في تركيبها أدى القيد (إن) وظيفة التعليل[١].

ومن أمثلة (أن) المفتوحة الدالة على التوكيد قوله تعالى: {أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ}[٢] ولعلنا نلحظ أنها جاءت متصدرة للمصدر المؤول، فـ (أن) وما بعدها فاعل يكفهم، والتقدير: أولم يكفهم إنزالنا عليك الكتاب. فإن قيل: إن الجملة بعد تقديرها بالمصدر لا تأكيد فيها فالجواب أن العبرة بحال الجملة قبل التقدير لا بعده.

القيد (لكن)

وتقيد الجملة بالقيد (لكن) لإفادة الاستدراك، وهو تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم ثبوته أو إثبات ما يتوهم نفيه، أو رفع ما يتوهم من الكلام السابق رفعا شبيها بالاستثناء[٣]. ويستلزم أن يسبقها كلام له صلة بمعموليها، وأن يكون ما بعدها مخالفا لما قبلها في المعنى ومغايرا له. ويتضح ذلك من قوله تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ}[٤] إذ إن الله تعالى قد أعجز رسوله ﷺ؛ لأنه بشر، حتى لا يظن غير ذلك، ثم استدرك القول بـ (لكن) إثباتا أن التأليف لله تعالى وحده، ومن ثم نفى ما دون ذلك[٥]. ذلك وقد اختلف في لفظها. أهي مركبة أم بسيطة، فمنهم من قال: إنها بسيطة، وهو رأي البصريين ومنهم من ذهب إلى أنها مركبة وهو رأي الكوفيين، وقد ذكر السيوطي تفسير ذلك الخلاف[٦].

القيد (كأن)

وتقيد الجملة بالقيد (كأن) لإفادة التشبيه المؤكد، وهو رأي البصريين؛ لأنه

العلوم: ٢٧/ ٤٩.

(1) انظر: المرجع السابق: ٢٧/ ٥٠.

(2) من الآية: ٥١ من سورة العنكبوت.

(3) انظر: الفطاني، تسهيل نيل الأماني: ١٢.

(4) من الآية: ٦٣ من سورة الأنفال.

(5) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: ٥/ ٣٤٧.

(6) انظر: السيوطي، همع الهوامع: ١/ ٤٨٥.

عندهم مركبا من كاف التشبيه وأن التوكيدية[١] وهو يفيد تشبيه المسند إليه بالمسند على سبيل التوكيد. وذلك كما في قوله تعالى: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ}[٢].

القيد (ليت)

وتقيد الجملة بالقيد (ليت) لإفادة التمني، أو كما يقول ابن هشام: هو طلب ما لا طمع فيه أو ما فيه عسر»[٣] والتمني يكون في الأمر الممكن، والأمر غير الممكن وهو في الممكن غالب، وذلك كما في قوله تعالى: {يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا}[٤] ومن الممكن ما يكون فيه عسر المنال، ويتضح ذلك في قوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ}[٥]. وذلك لأن ما تمنوه ممكن ويسير على الله، ولكن نظرًا لكونه خصيصًا لقارون بالابتلاء والعبرة والموعظة كان من الممكن الصعب تحققه.

القيد (لعل)

وتقيد الجملة بالقيد (لعل) لإفادة التوقع، وعبر عنه بعض النحاة بالترجي في الأمر المحبوب والإشفاق في الأمر المكروه[٦] ويمثل للأول قوله تعالى: {.يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[٧] فإن الفلاح مرجو من هؤلاء المؤمنين المخاطبين. ويمثل للثاني – وهو مجيء (لعل) للخوف والإشفاق قوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ}[٨]؛ إذ إن الساعة مخوفة في حق المؤمنين لما يعلمون من أهوالها، ويدل على ذلك قوله

---

(1) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل: ٧/ ٨١.
(2) الآيتان: (٤٩، ٥٠) من سورة المدثر.
(3) ابن هشام، أوضح المسالك: ١/ ٣١٥.
(4) من الآية: ٤٠ من سورة النبأ.
(5) من الآية: ٧٩ من سورة القصص.
(6) انظر: ابن هشام، أوضح المسالك: ١/ ٣١٥.
(7) الآية: ٢٠٠ من سورة آل عمران.
(8) من الآية: ١٧ من سورة الشورى.

تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ}[1].

يبقى أن أقول: إن التوقع الذي يشير إليه النحاة لا يكون إلا في الأمر الممكن. وأما قوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ.أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى}[2] فإن لعل فيه تبرز أن فرعون عدو الله أظهر ما لا يمكن في صورة الممكن تمويها على سامعيه[3]؛ لأن بلوغ السماوات غير ممكن.

وقد يأتي القيد (لعل) في سياق النص القرآني ويفيد التعليل[4] أي يأتي بمعنى (كي) وذلك كما في قوله تعالى: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[5]. وقد عارض ذلك أبو حيان بقوله: والصحيح أنها على بابها من الترجي وذلك بالنسبة إلى البشر»[6] فالمعنى – والله أعلم – اذهبا على رجائكما وقولا له القول الذي ترجوان به تذكيره وخشيته.

وقد يأتي القيد ويراد به التشبيه، وذلك كما في قوله تعالى: {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ}[7] والمعنى كأنكم تخلدون، فيكون المراد تشبيه حالهم بحال من يخلد، فلذلك بنوا ما بنوا من المصانع البديعة والحصون المنيعة. قال ابن عباس: المعنى كأنكم خالدون ويؤيده أنها في مصحف أُبي: كأنكم تخلدون. والظاهر أن القيد (لعل) هنا على بابها فيكون المعنى أن الحامل لهم على اتخاذ ما اتخذه هو الرجاء للخلود ولا خلود في هذه الحياة[8].

ـ خبر القيد (إن) بين التقديم والتأخير

الأصل في القاعدة أن يلتزم الترتيب بين القيد (إن) واسمها وخبرها، لذلك

---

(1) من الآية: ١٨ من سورة الشورى.
(2) الآيتان (٣٦، ٣٧) من سورة غافر.
(3) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب: ١٣/ ٥٥١.
(4) انظر: ابن هشام، المغني: ١/ ٣١٧.
(5) الآية: ٤٤ من سورة طه.
(6) أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ٣٣٧.
(7) الآية: ١٢٩ من سورة الشعراء.
(8) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٨/ ١٧٨.

يمتنع تقديم الخبر عليها مطلقًا؛ لأنها – والرأي لأبي القاسم الزجاجي – وأخواتها وما في لغة أهل الحجاز تعمل عمل الفعل لمضارعتها إياه، ولا يتقدم خبرها عليها ولا على اسمها؛ لأنها لم تتصرف تصرف الأفعال، فلذلك لم يجز فيها كل ما جاز في الأفعال»[1] وأجاز نحاتنا العرب توسط الخبر بينها وبين اسمها، وذلك إذا كان الاسم معرفة والخبر ظرفًا أو جارًا ومجرورًا، كما في قوله تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ.ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}[2] كما أنهم أوجبوا توسط الخبر إذا كان نكرة والخبر – أيضًا – ظرفًا أو جارًا ومجرورًا. وذلك كما في قوله تعالى: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا}[3].

ولعل سبب تقديم الخبر على الاسم يرجع – كما يقول الأردبيلي – إلى: أن رفع الظرف لا يظهر في اللفظ؛ ولأن في الظروف اتساعًا لكثرة وقوعه في كلامهم[4].

وفي قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ... لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[5] نلحظ توسط الخبر –كذلك– بين القيد (إن) واسمها؛ لاقتران الاسم بـ (لام) الابتداء وفي ذلك يقول أبو حيان: دخلت اللام على اسم إن لحيلولة الخبر بينه وبينها، إذ لو كان يليها ما جاز دخولها وهي لام التوكيد، فصار في الجملة حرفًا توكيد: إن واللام»[6].

ـ وقوع الجملة الطلبية خبرًا للقيد

وفي لغة القرآن الكريم وقعت الجملة الطلبية خبرًا للقيد (إن)، وذلك كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ... فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[7] قال أبو حيان: وهذه الآية جاءت وعيدًا لمن كان في زمانه ﷺ ولذلك

---

(1) الزجاجي، الأيضّاح في علل النحو: ١٣٥. تحقيق مازن المبارك.القاهرة. مكتبة دار العروبة ١٣٧٨هـ.

(2) الآيتان: (٢٥، ٢٦) من سورة الغاشية.

(3) الآية: ١٢ من سورة المزمل.

(4) الأردبيلي، شرح الأنموذج في النحو: ٣٧.

(5) الآية: ١٦٤ من سورة البقرة.

(6) أبو حيان، البحر المحيط: ٢/ ٨٢ وما بعدها.

(7) الآية: ٢١ من سورة آل عمران.

جاءت الصلة بالمستقبل، ودخلت الفاء في خبر (إن)؛ لأن الموصول ضمن معنى اسم الشرط»[١] ويمثله كذلك قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ}[٢].

ـ تعدد خبر القيد (إن)

يجوز تعدد خبر القيد (إن) كما في قوله تعالى: {إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ.رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[٣] يحتمل أن يكون خبرًا ثانيًا لـ (إن)، وهذا هو الأولى ويحتمل أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره (هو رب السماوات)، وعندئذ تكون الجملة مطلقة.

ـ حذف خبر القيد (إن)

ويجوز حذف خبر القيد (إن) إذا علم، وذلك كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}[٤] فخبر (إن) في الآية محذوف دل عليه جواب الشرط وتقديره عند الزمخشري: (نذيقهم من عذاب أليم)[٥]، وذلك بعد قوله (والباد)، وتقديره عند ابن عطية: خسروا أو هلكوا. وذكر الكوفيون أن الواو في قوله: (ويصدون) زائدة والجملة في محل رفع خبر (إن)[٦].

ـ جملة القيد بين زيادة (ما) وتخفيف ذوات النون

إن ثمة آثارا تركيبية تطرأ على أسلوب الجملة المقيدة بإن أو إحدى أخواتها، وذلك جراء تضافر ظاهرتين: أولاهما: دخول (ما) الزائدة، والثانية تخفيف النون من ذوات النون منها، لذلك سيعرض البحث لهاتين الظاهرتين، موضحًا من خلالهما تلك الآثار الناتجة.

---

(1) أبو حيان: البحر المحيط: ٣/ ٧٥.
(2) من الآية: ١١ من سورة النور.
(3) الآيتان (٤-٥) من سورة الصافات.
(4) الآية: ٢٥ من سورة الحج.
(5) راجع: الزمخشري، الكشاف: ٣/ ١٠.
(6) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ٤٩٨ وما بعدها.

أولاً: اقتران (ما) الزائدة بإن وأخواتها

تتصل (ما) الزائدة بإن وأخواتها فتكفها -كما يقول النحاة- عن العمل وتهيئها للدخول على الجملة الفعلية، إلا القيد (ليت) فإن (ما) الزائدة إذا اتصلت بها جاز إهمالها وجاز إعمالها[1].

ولم يرد في لغة القرآن الكريم مقترنًا بـ (ما) الزائدة من هذه القيود إلا (إن) مكسورة ومفتوحة و(كأن). ويمثل لإهمال (إن) المكسورة لاتصالها بـ (ما) الزائدة، والمسماه عند بعض النحاة بما الكافة قوله تعالى عن المنافقين: {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}[2] فالقيد (إن) في (إنما) بطل عمله، وصار أداة توكيد فحسب، وما بعده جملة اسمية مطلقة. ويمثل لدخولها على الجملة الفعلية قوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ}[3].

وجاء في بعض الآيات ما يحتمل أن تكون (ما) المقترنة بالقيد (إن) كافة أو موصولة، نحو قوله تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ}[4] قال أبو حيان: والظاهر أن (ما) في (إنما) كافة لدخول (إن) على الجملة الفعلية، وقيل: (ما) موصولة[5].

ويمثل لإهمال (أن) المفتوحة لاتصالها بـ (ما) الزائدة بها قوله تعالى: {فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ}[6].

وجاء في بعض الآيات ما يحتمل أن تكون (ما) المقترنة بـ (أن) المفتوحة كافة أو مصدرية أو موصولة، كما في قوله تعالى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ.نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ}[7] والشاهد في قوله تعالى (أنما نمدهم) إذ يحتمل أن تكون (ما) موصولة أو مصدرية أو كافة مهيئة.

---

(1) انظر: السيوطي، همع الهوامع: ١/ ٥١٨.
(2) من الآية: ١٤ من سورة البقرة.
(3) من الآية: ١٧٣ من سورة البقرة.
(4) من الآية: ٤٩ من سورة الزمر.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: ٩/ ٢٠٩ وما بعدها.
(6) من الآية: ٩٢ من سورة المائدة.
(7) الآيتان: (٥٥-٥٦) من سورة المؤمنون.

فإن كانت موصولة فصلتها ما بعدها، وجملة (نسارع) خبر القيد (أن) والرابط لهذه الجملة ضمير محذوف تقديره: نسارع لهم به في الخيرات، وقيل حسن حذفه لاستطالة الكلام وأمن اللبس[١].

وإن كانت (ما) مصدرية فالمصدر المؤول منها ومما بعدها اسم أن والجملة نسارع خبرها، والتقدير: أيحسبون أن إمدادنا لهم بالمال والبنين مسارعة لهم في الخيرات؟ وإن كانت (ما) كافة مهيئة فلا تحتاج إلى ضمير ولا حذف، ويجوز الوقف حينئذ على قوله تعالى {وَبَنِينَ}[٢].

وما قيل في القيدين (إن وأن) يقال كذلك في القيد (كأن) إذا اقترنت بـ (ما) الزائدة، ويتضح ذلك من قوله تعالى: {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}[٣] فبرغم إهمالها، ومن ثم تهيئتها للدخول على الجملة الفعلية إلا أن دلالتها على التشبيه لا تزال قائمة[٤].

وبعد.. وقبل أن ينتقل بنا الحديث إلى الظاهرة الثانية ظاهرة تخفيف النون من ذوات النون من هذه الأدوات أود أن أشير إلى أن (ما) الزائدة هذه قد أضافت متضافرة مع هذه القيود مزيدا من الدلالة؛ حيث توكيد المعنى، فضلا عن المعاني التي يؤديها كل قيد منها، إلى جانب أنها أفادت باقترانها القيدين (إن وأن) الحصر أو القصر، وذلك كما في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}[٥].

ثانيًا: تخفيف النون من ذواتها

يقصد بتخفيف النون نطقها ساكنة دون تشديد، وذلك مع ذوات النون من هذه الأدوات، وهي: (إن – أن – لكن – كأن). ويترتب على هذا التخفيف آثار

---

(1) راجع: أبو حيان، البحر المحيط، ٧/ ٥٦٧.
(2) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ٥٨٧، وما بعدها.
(3) من الآية: ١٢٥ من سورة الأنعام.
(4) انظر: الزمخشري، الكشاف: ٢/ ٤٩.
(5) من الآية: ١١٠ من سورة الكهف.

تركيبية عامة أبرزها زوال اختصاص هذه الأدوات بالجملة الاسمية، إذ تصير بهذا التخفيف صالحة لأن تدخل على الجملتين: الاسمية والفعلية على حد سواء. وثمة آثار تركيبية خاصة ستذكر إبان عرض هذه الأدوات إن شاء الله تعالى.

تخفيف (إن) المكسورة

استقر لدى نحاتنا العرب أنه عند تخفيف القيد (إن) المكسورة؛ لثقلها بالتشديد يكثر إهمالها لزوال اختصاصها، وحينئذ تلزم اللام في الخبر فارقة بينها وبين (إن) النافية[١].

ففي قوله تعالى: {وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ}[٢] وعلى قراءة عاصم وحمزة وابن عامر بتثقيل (لما) تكون (إن) نافية و(لما) بمعنى (إلا) وقرأ باقي السبعة (لما) فتكون (إن) مخففة من الثقيلة غير عاملة، واللام لام الابتداء تفيد التوكيد و(ما) زائدة لإفادة التوكيد أيضًا، و(كل) مبتدأ و(جميع) خبر له و(محضرون) صفة[٣]، والتقدير: (إن كل لجميع).

هذا، وإن جاء بعد (إن) المخففة (جملة فعلية) فيكثر كون فعلها (ماضيًا أو مضارعًا) ناسخًا[٤]، كما أنه لابد من اللام في أخبار هذه النواسخ أو في المفعول الثاني لها إذا كانت مما ينصب مفعولين أصلهما (المبتدأ والخبر) ويمثل لتخفيف القيد (إن) المهملة الداخلة على (كان) قوله تعالى: {أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ}[٥] ويمثل لدخولها على (كاد) الدالة على المقاربة قوله تعالى: {وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ}[٦] وكذلك قوله تعالى: {وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ}[٧].

---

(1) انظر: السيوطي، الهمع: ١/ ٥١١.
(2) الآية: ٣٢ من سورة يس.
(3) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: ٩/ ٦٣.
(4) انظر: الصبان، حاشية الصبان: ١/ ٤٥١ وما بعدها.
(5) الآية: ٥٦ من سورة الزمر.
(6) من الآية: ٧٦ من سورة الإسراء.
(7) من الآية: ٥١ من سورة القلم.

وفي قوله تعالى: {وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ}[١] شاهد على دخول القيد (إن) على الناسخ المنتصب معه المبتدأ والخبر؛ حيث خفف القيد (إن) فبطل عن العمل، ودخل على الناسخ نظن هذا، وقد لزمت (اللام الفارقة) المفعول الثاني.

تخفيف (أن) المفتوحة

وكما تخفف (إن) المكسورة تخفف – كذلك – المفتوحة، ولكن (أن) هذه تختلف عن الأولى – كما قرر النحاة – بأن عملها يبقى كما كان قبل التخفيف. وقد وضع نحاتنا شروطًا وضوابط في تركيبها كي تظل على عملها، وتتمثل هذه الشروط في أنه يجب فياسمها أن يكون ضميرًا محذوفًا وفي خبرها أن يكون جملة[٢]، وذلك مما جعلها – كما يقول الدكتور طه الجندي –: هي والمهملة سواء[٣] ثم إنهم قيدوا لها شرطًا آخر في خبرها الجملة. ويتمثل هذا الشرط في أنه إن كان خبر القيد جملة اسمية أو فعلية فعلها جامد أو متصرف يفيد الدعاء لم تحتج إلى فاصل بينها وبين خبرها.

ففي قوله تعالى: {وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[٤] دليل – كما وسم النحاة – على إعمال القيد (أن) المفتوحة المخففة ومجيء خبرها جملة اسمية مثبتة. واسم القيد في الآية ضمير الشأن المحذوف تقديره: أنه أي: الحال والشأن، وخبرها جملة (الحمد لله). كما جاء خبرها جملة اسمية منفية، وذلك كما في قوله تعالى: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ}[٥].

ومما يمثل لمجيء خبرها جملة فعلية فعلها جامد قوله تعالى: {وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى}[٦].

---

(1) الآية: ١٨٦ من سورة الشعراء.

(2) راجع: ابن هشام، أوضح المسالك: ١/ ٣٥٧ وما بعدها.

(3) د. طه الجندي، المكونات التركيبية والدلالية للجملة الاسمية: ١٧١. القاهرة. دار النصر ٢٠٠٥.

(4) من الآية: ١٠ من سورة يونس.

(5) من الآية: ٨٧ من سورة الأنبياء.

(6) الآية: ٣٩ من سورة النجم.

وفي قوله تعالى: {وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ}[١]، دليل وشاهد على مجيء خبرها جملة فعلية فعلها متصرف يفيد الدعاء، وذلك على قراءة (نافع) بتخفيف القيد (أن)[٢] أي: (أن غضب الله عليها). كذلك قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا}[٣] وذلك ما أجازه صاحب البحر المحيط، حيث قال: ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، و(بورك) فعل دعاء، كما تقول: بارك الله فيك، وإذا كان دعاء لم يجز دخول قد عليه فيكون كقوله تعالى: {وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا} في قراءة من جعلها فعلاً ماضيًا[٤].

ـ الفصل بين القيد (أن) المخففة وخبرها بفاصل

وذلك إذا كان خبر أن المفتوحة المخففة غير ما ذكر، ويفصل بينها وبين خبرها بأشياء منها: (قد والسين ولا النافية ولن ولم ولو وإذا الشرطية)[٥].

١- الفصل بـ (قد) كما في قوله تعالى: {وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ}[٦].

٢- الفصل بـ (السين) كما في قوله تعالى: {عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى}[٧]

٣- الفصل بـ (لا) النافية كما في قوله تعالى: {أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا}[٨].

٤- الفصل بـ (لن) كما في قوله تعالى: {أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ}[٩]

٥- الفصل بـ (لم) كما في قوله تعالى: {ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ}[١٠].

---

(1) الآية: ٩ من سورة النور.
(2) راجع: ابن الجزري، النشر: ٢/ ٣٣٠.
(3) من الآية: ٨ من سورة النمل.
(4) انظر: البحر المحيط: ٨/ ٢١١.
(5) راجع: الصبان، حاشية الصبان: ١/ ٤٥٥.
(6) من الآية: ١١٣ من سورة المائدة.
(7) من الآية: ٢٠ من سورة المزمل.
(8) الآية: ٨٩ من سورة طه.
(9) الآية: ٣ من سورة القيامة.
(10) الآية: ١٣١ من سورة الأنعام.

٦- الفصل بـ (لو) كما في قوله تعالى: {وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا}[1].

٧- الفصل بـ (إذا) الشرطية كما في قوله تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا}[2] وذكر في البحر المحيط أن اسم (أن) في الآية ضمير غير ضمير الشأن تقديره: (أنكم إذا سمعتم)[3].

تخفيف (لكن)

ويبدو واضحا أثر تخفيف النون في القيد (لكن)، إذ بتخفيفها يبطل عملها وجوبًا عند الجمهور لزوال اختصاصها بالجملة الاسمية[4]، وأجاز المبرد إعمالها حيث قال: إن (لكن) بمنزلة إن في تخفيفها وتثقيلها في النصب والرفع وما يختار فيهما؛ لأنها على الابتداء داخلة[5].

وقد جاءت (لكن) المخففة في لغة القرآن الكريم غير عاملة داخلة على الجملةالاسمية مطلقة ومقيدة، فالمطلقة كما في قوله تعالى: {لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ}[6]، والمقيدة كما في قوله تعالى: {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ}[7].

ووردت - كذلك - مخففة داخلة على الجملة الشرطية، وذلك كما في قوله تعالى: {وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا}[8].

تخفيف (كأن)

وتخفف (كأن) ويبقى عملها وينوى اسمها، وذلك ما قرره بعض النحاة[9] مشابهة بالقيد (أن) المفتوحة. ويخبر عنها بجملة اسمية أو فعلية. ويبدو أثر تخفيف نونها واضحا، حيث تهيأت به للدخول على الجملة الفعلية

---

(1) الآية: ١٦ من سورة الجن.
(2) من الآية: ١٤٠ من سورة النساء.
(3) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: ٤/ ١٠٢.
(4) انظر: السيوطي، الهمع: ١/ ٥١٨.
(5) المبرد، المقتضب: ١/ ١٨٩.
(6) من الآية: ١٦٢ من سورة النساء.
(7) الآية:٧٦ من سورة الزخرف.
(8) من الآية: ٥٣ من سورة الأحزاب.
(9) انظر: السيوطي، الهمع: ١/ ٥١٦.

شريطة أن تتصدر بالقيد (لم).

ولم يأت خبر (كأن) المخففة في لغة الاستعمال القرآني إلا جملة فعلية، وذلك كما فيقوله تعالى:}وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا} [1] فـ (كأن) في الآية مخففة واسمها كما قال أبو حيان: ضمير الشأن واجب الحذف»[2] وخبرها جملة (لم يسمعها)، وقوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ}[3].

وقد ذهب الرضي إلى أن إلغاءها أفصح عند تخفيفها من إعمالها[4]. وهذا خلاف ما ذهب إليه أكثر النحاة مع بقاء عملها مع التخفيف كبقائه مع القيد (أن) المفتوحة المخففة.

(1) من الآية: ٧ من سورة لقمان.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: ٨/ ٤١١.
(3) من الآية: ٢٤ من سورة يونس.
(4) راجع: الرضي الإستراباذي، شرح الكافية: ٢/ ٣٣٤ وما بعدها.

المبحث الثالث

ظن وأخواتها وما يحلق بها

قرر النحاة إدراج القيد (ظن) وأخواتها وما يلحق بها[1] ضمن الأدوات المقيدة للجملة الاسمية، مطلقين عليها جميعا نواسخ الابتداء رغم ما بينها وبين هذه الأدوات[2] من تباين واختلاف، ويتمثل هذا التباين في أن ظن وأخواتها وما يلحق بها أفعال تشتمل على عنصري الفعل (الحدث والزمن) كليهما، في حين أن هذه الأدوات الأخرى المشار إليها لا يقترن بها إلا عنصر واحد من هذين العنصرين، وهو (الزمن).

وثمة فرق آخر يمايزها عن غيرها من الأدوات، وهو أن (ظن) وأخواتها وما يلحق بها تندرج تحت مظلة الفعل المتعدي، وتعد بهذا ركنا من ركني الإسناد في جملة فعلية غير الجملة الاسمية الداخلة عليها. بينما لا يمكن أن توصف الأدوات الأخرى بتعد أو لزوم.

وبتقييد الجملة بهذه الأدوات ينتج تغيير، ويتلخص هذا التقييد في أن ركني الجملة (المبتدأ أو الخبر) يصيران منصوبين، ويطلق على كل واحد منهما مفعولاً.

وثمة تغيير آخر ينتاب الجملة جراء تقييدها، ويتمثل فيما تضفيه هذه الأدوات من المعاني الدلالية التي يحملها كل قيد منها، وأعني بهذه المعاني اليقين والرجحان والتحويل وغيرها...

وتنقسم هذه الأدوات بحسب دلالتها التي تحدثها في العلاقة القائمة بين مفعوليها (ركني الجملة الاسمية في الأصل) إلى ثلاثة أقسام: أولها (أفعال القلوب)، والثاني: (أفعال التحويل)، والثالث: (أفعال الإعلام والإخبار).

---

(1) وأعني بها الأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل، (أفعال الإعلام والإخبار).

(2) وأعني بها: كان وأخواتها، وما يلحق بها (كاد وأخواتها) مستبعدا من هذه الأدوات (إن وأخواتها) لأنها – كما هو معلوم عنها- حروف.

أولاً: أفعال القلوب

وسميت بذلك؛ لأن معانيها قائمة بالقلب، وهي معاني الإدراك المتعلقة بالأمور النفسية.. كالعلم واليقين والظن والزعم، وغير ذلك من المعاني التي تكمن في نفس الإنسان المعبر عنها بالأدوات الآتية.

ذلك وقد اختلف النحاة – رحمهم الله تعالى – في تقسيم أفعال القلوب من حيث دلالتها على اليقين أو الظن.

فمنهم من قسمها إلى أربعة أقسام، وهي: ما يفيد في الخبر يقينًا، وأفعاله (وجد وألفي وتعلم بمعنى اعلم ودري)، وما يفيد في الخبر رجحانًا، وأفعاله (جعل وحجا وعد وهب وزعم)، وما يفيد في الخبر يقينًا أو رجحانًا والغالب كونه لليقين، وهو فعلان (رأى وعلم)، وما يفيد في الخبر رجحانًا أو يقينًا والغالب كونه للرجحان، وهو ثلاثة أفعال: (ظن وخال وحسب) من هؤلاء الأشموني في شرحه على الألفية[1].

ومنهم من قسمها إلى ثلاثة أقسام، وهي: ما دل على ظن في الخبر، وما دل على يقين، وما استعمل في الأمرين. ومن هؤلاء السيوطي[2]. ومنهم من أرجعها جميعا إلى قسمين فقط أولهما: ما يدل على اليقين، والثاني منهما: ما يدل على الرجحان، ومن هؤلاء ابن عقيل في شرحه على الألفية[3].

وإذ يعرض البحث لهذه التقسيمات يرى أن التقسيم الأخير، وهو الثنائي أظهرها بل أنسبها، وذلك؛ لأنه كما قال الأستاذ عباس حسن: أدمج القسم الثالث في الأول، والرابع في الثاني؛ نظرا للغالب عليهما، وتقليلاً للأقسام، واكتفاء بالإشارة إلى أن كل فعل قد يستعمل في معنى آخر غير ما ذكر له[4].

---

(1) انظر: الصبان، حاشية الصبان على الأشموني: ٢/ ٣٣.
(2) انظر: السيوطي، الهمع: ١/ ٥٣٧ – ٥٤٢.
(3) انظر: ابن عقيل، شرح الألفية: ٢/ ٢٨-٢٩.
(4) ابعس حسن، النحو الوافي: ٢/ ١٣.

القسم الأول:

ـ التقييد بالأفعال الدالة على اليقين

وهو ستة أفعال: وجد وألفي وتعلم بمعنى اعلم ودري ورأى وعلم. والمستخدم منها في لغة القرآن الكريم (وجد وألفي ودري ورأى وعلم).

(وجـــــد)

جاء القيد (وجد) في لغة القرآن الكريم بصيغتي الماضي والمضارع بمعنى (علم) دالاً على اليقين متعديا إلى مفعولين، ويمثل لمجيئها بصيغة الماضي قوله تعالى: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}[1] وقوله تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى}[2] حيث وقع قوله تعالى في الآيتين قيدًا بالناسخ دالاً بذلك على اليقين، فالهاء في قوله (وجدناه) مفعول أول و(صابرًا) مفعول ثان، وأن أصل المفعولين جملة اسمية مكونة من ركنين أساسين: المبتدأ والخبر أي: (هو صابر).

ويمثل لمجيء القيد بصيغة المضارع قوله تعالى: {وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا}[3] فالهاء في (تجدوه) مفعول أول، و(خيرا) مفعول ثان، وكلاهما وقعا قيدًا بالناسخ الدال على اليقين، ولفظ (هو) ضمير فصل لا محل له من الإعراب، وذلك على أظهر الأقوال[4].

وجاء في بعض الآيات ما يحتمل كونها متعدية لمفعولين أو لمفعول واحد كما في قوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا}[5] فـ (حقا) تحتمل أن تكون مفعولاً ثانيًا لـ(وجد) المفعول الأول (ما) الموصولة وتحتمل أن تكون حالاً[6]، وهي عندئذ بمعنى (لقي). ومن ذلك أيضًا – قوله تعالى:

---

(1) من الآية: ٤٤ من سورة ص.
(2) الآية: ٧ من سورة الضحى.
(3) من الآية: ٢٠ من سورة المزمل.
(4) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ١٠/ ٣٢١.
(5) من الآية: ٤٤ من سورة الأعراف.
(6) انظر: العكبري، إملاء ما من به الرحمن: ١/ ٢٧٤ تحقيق وتصحيح إبراهيم عوض عطوة. القاهرة. دار الحديث.

{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا}[١] فـ (تجد) يجوز أن تكون بمعنى تصادف وتصيب فتتعدى لواحد، ويجوز أن تكون بمعنى (تعلم) فتتعدى لاثنين[٢].

(ألفـــــى)

لم يرد القيد (ألفى) في لغة القرآن الكريم إلا بصيغة الماضي، نحو قوله تعالى: {إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ}[٣] وقوله تعالى: {قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}[٤] فقد وقع قوله تعالى في الآيتين قيدًا بالناسخ الدال على اليقين. فـ (عليه) في الآية الثانية جار ومجرور في موضع نصب مفعول القيد (ألفينا)، وكذا (آباءنا) و (عليه آباءنا) أصله جملة اسمية قدم خبرها شبه الجملة على المبتدأ جوازا.

(دري)

جاء القيد (دري) في لغة الاستعمال القرآني بصيغتي الماضي والمضارع، فالماضي نحو قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ}[٥] فـ (الكاف) مفعول به أول، وجملة (ما يوم الفصل) في موضع نصب سد مسد المفعول الثاني، وكلاهما وقع قيدًا بالناسخ الدال على اليقين. والمضارع كما في قوله تعالى: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا}[٦].

والأكثر – كما يقول النحاة – في الفعل (دري) أن يتعدى لواحد بالباء، فإذا دخلت عليه همزة التعدية تعدى للمفعول الأول بنفسه والثاني بالباء[٧]. وقد ورد ذلك في لغة القرآن الكريم مرتين، كما في قوله تعالى: {قُل لَّوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ}[٨]، فضمير المخاطبين مفعول أول والمفعول الثاني (الهاء) في به.

---

(1) من الآية: ٣٠ من سورة آل عمران.
(2) انظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: ١/ ٤٩٢.
(3) الآية: ٦٩ من سورة الصافات.
(4) من الآية: ١٧٠ من سورة البقرة.
(5) الآية: ١٤ من سورة المرسلات.
(6) من الآية: ٣٤ من سورة لقمان.
(7) راجع: ابن هشام، أوضح المسالك: ٢/ ٣٢.
(8) من الآية: ١٦ من سورة يونس.

وجاء معلقًا عن العمل في المفعول الثاني بالاستفهام ثلاث عشرة مرة، وذلك كما في قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ}[١] كما أنه جاء معلقًا عن العمل في المفعولين الأول والثاني بالاستفهام ثماني مرات، وذلك كما في قوله تعالى: {وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}[٢].

وجاء معلقا عن العمل في المفعول الثاني بـ (لعل) ثلاث مرات كما في قوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا}[٣] وجاء معلقا عن العمل في المفعولين الأول والثاني بـ (لعل) – أيضًا – مرتين، وذلك كما في قوله تعالى: {وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ}[٤]، قال أبو حيان: ولعل هنا معلقة أيضًا وجملة الترجي هي مصب الفعل، والكوفيون يجرون لعل مجرى هل، فكما يقع التعليق بهل يقع كذلك بلعل... [٥].

(رأى)

جاء القيد (رأى) في لغة القرآن الكريم دالاً على اليقين أو الرجحان والغالب كونه لليقين. ذلك وقد ورد بصيغتي الماضي والمضارع، فالماضي وهو دال على اليقين قوله تعالى: {كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}[٦] ففاعل رأى في الآية ضمير مستتر يعود على الإنسان تقديره: هو، والهاء في (رآه) ضمير عائد على الإنسان أيضًا وكلاهما للغائب، ومن ثم اتحد ضمير الفاعل والمفعول في المعنى، وذلك خاص بأفعال القلوب ورأى الحلمية[٧].

ويمثل للقيد في صورة المضارع قوله تعالى عن يوم القيامة: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا.وَنَرَاهُ قَرِيبًا}[٨] فيرى في (يرونه) للظن وفي (نراه) لليقين. ومما يؤيد ذلك قول

---

(1) الآية: ١٧ من سورة الانفطار.
(2) الآية: ١٠ من سورة الجن.
(3) من الآية: ٦٣ من سورة الأحزاب.
(4) من الآية: ١١١ من سورة الأنبياء.
(5) أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ٤٧٤.
(6) الآيتان: ٦-٧ من سورة العلق.
(7) راجع: البحر المحيط: ١٠/ ٥٠٨.
(8) الآيتان: ٦-٧ من سورة المعارج.

صاحب الكشاف. حيث قال: الضمير في (يرونه) للعذاب الواقع أو ليوم القيامة.. أي يستبعدونه على جهة الإحالة ونحن (نراه) قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد عن الإمكان وبالقريب القريب منه[١].

وجاء القيد (رأى) والمصدر المؤول من أن المشددة ومعموليها سادا مسد مفعوليه، وذلك ثلاث عشرة مرة، كما في قوله تعالى: {أَوَ لاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ}[٢] والرؤية هنا – كما يقول أبو حيان –: يحتمل أن تكون من رؤية القلب ومن رؤية البصر»[٣].

وجاء والمصدر المؤول من أن المخففة من الثقيلة ومعموليها سادا مسد مفعوليه، وذلك في آية واحدة، قال تعالى: {أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا}[٤].

وكما جاءت (رأى) في سياق لغة القرآن الكريم علمية جاءت حلمية – وهي الرؤيا في المنام – متعدية إلى مفعولين أصلهما ركنا الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) وذلك كما في قوله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ}[٥].

والشاهد في موضعين: في (أراني أعصر) و(أراني أحمل) وياء المتكلم في الفعلين في محل نصب مفعول أول، والجملة الفعلية في الموضعين في محل نصب مفعول ثان.

وقد جاءت رأى الحلمية هنا جارية مجرى أفعال القلوب في اختصاصها بجواز مجيء فاعلها ومفعولها الأول ضميرين متحدي المعنى؛ إذ إن فاعل القيد (رأى) ضمير مستتر للمتكلم تقديره (أنا)، والمفعول الأول ضمير متصل وهو (ياء) المتكلم فكلاهما لمدلول واحد[٦].

---

(1) الزمخشري، الكشاف: ٤/ ١٥٧.
(2) الآية: ١٢٦ من سورة التوبة.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: ٥/ ٥٣٠.
(4) الآية: ٨٩ من سورة طه.
(5) من الآية: ٣٦ من سورة يوسف.
(6) راجع: أبو حيان في البحر المحيط: ٦/ ٢٧٥، والزمخشري في الكشاف: ٢/ ٣١٩.

(علـــــم)

جاء القيد (علم) في لغة القرآن الكريم بصيغ الفعل الثلاثة الماضي والمضارع والأمر. فالماضي كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ}[1] والمضارع كما في قوله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللهِ}[2]، وصيغة الأمر كما في قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ}[3].

ولم يأت مفعولاً علم مذكورين في سياق النص القرآني إلا في آية واحدة، وهي قوله تعالى: {فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ}[4] فـ (هن) مفعول أول، و(مؤمنات) مفعول ثان، و«القيد هنا للرجحان.

وجاء المصدر المؤول من أن المشددة ومعموليها سادا مسد معموليها تسعًا وستين مرة، منها قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ}[5]، وجاء المصدر المؤول من أن المخففة من الثقيلة ومعموليها سادا مسد معموليها خمس مرات، وذلك كما في قوله تعالى: {عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ}[6] وقوله تعالى: {وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا}[7].

وجاء القيد معلقا عن العمل في المفعولين بأداة من أدوات التعليق كلام الابتداء، حيث ورد ذلك مرة واحدة في قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ}[8]، وما النافية، وذلك ثلاث مرات نحو قوله تعالى: {وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ}[9]، والاستفهام ومنه التعليق بـ (أي)

---

(1) من الآية: ١٥٨ من سورة الصافات.
(2) من الآية: ٨٠ من سورة يوسف.
(3) من الآية: ١٩ من سورة محمد.
(4) من الآية: ١٠ من سورة الممتحنة.
(5) من الآية: ٢٠ من سورة المزمل.
(6) من الآية: ٢٠ من سورة المزمل.
(7) من الآية: ١١٣ من سورة المائدة.
(8) من الآية: ١٠٢ من سورة البقرة.
(9) الآية: ٣٥ من سورة الشورى.

الاستفهامية، وقد ورد ذلك ثلاث مرات كما في قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا}[١].

القسم الثاني:

ـ التقييد بالأفعال الدالة على الرجحان

وهو ثمانية أفعال: جعل وحجا وعدَّ وهبْ وزعم وظن وخال وحَسِب. والمستعمل في لغة القرآن الكريم منها (جعل وزعم وظن وحسب).

(جعـــــل)

من الأفعال الدالة على الاعتقاد عند نحاتنا القيد (جعل)[٢]، وقد استشهدوا عليه بقوله تعالى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا}[٣] فالملائكة مفعول أول، وإناثًا مفعول ثان. هذا، وقد اختلف النحاة في معناها، فهي عند أبي جعفر النحاس بمعنى (وصفوا)[٤]، وعند الفخر الرازي بمعنى (حكموا)[٥] وقال صاحب دلائل الإعجاز ناقدا من ذهب إلى أن معناها (وسموا): فإنما جاء على الحقيقة التي وصفتها وذلك أن المعنى أنهم أثبتوا للملائكة صفة (الإناث)، واعتقدوا وجودها فيهم، وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم ما صدر من الاسم، أعني إطلاق اسم (البنات)، وليس المعنى أنهم وضعوا لها لفظ الإناث اسمًا من غير اعتقاد معنى وإثبات صفة... [٦] ويرى البحث أن يكون المعنى كما وسمه أبو حيان قائلاً: الأحسن أن يكون المعنى: وصيروا اعتقادهم الملائكة إناثًا[٧]؛ إذ إنها بهذا تكون قد أشربت معنى التصيير بجانب دلالتها على الاعتقاد والظن.

---

(1) الآية: ١٢ من سورة الكهف.
(2) راجع: السيوطي في الهمع: ١/ ٥٣٩.
(3) من الآية: ١٩ من سورة الزخرف.
(4) انظر: النحاس، إعراب القرآن: ٤/ ١٠٣.
(5) انظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: ١٤/ ٨٦.
(6) الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٣٦٨ وما بعدها.
(7) أبو حيان، البحر المحيط: ٩/ ٣٦٥.

هذا، وقد جاء معمولاها صريحين كما في قوله تعالى السابق، وقوله تعالى: {وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً}[١] وجاء معمولها الثاني مصدرًا مؤولاً وذلك في قوله تعالى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}[٢]، كما جاء معمولها الثاني كذلك شبه جملة وذلك في واحد وعشرين موضعًا، نحو قوله تعالى: {فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا}[٣]وقوله تعالى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا}[٤] فـ (جعلوا) فعل وفاعل، والظرف (بينه) متعلق بمحذوف مفعول به ثان، و(نسبًا) المفعول الأول[٥]، وهما يصوران الجملة الاسمية المطلقة إذا حذف القيد جعل المؤدي معنى الاعتقاد أو الظن.

(زعـــــم)

جاء القيد (زعم) في لغة القرآن الكريم بصيغتي الماضي والمضارع دالاً على الرجحان. فيمثل الماضي قوله تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ}[٦] ويمثل المضارع قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ}[٧]. ولم يرد معمولاً القيد (زعم) في لغة الاستعمال القرآني إلا بواسطة أن المؤكدة سواء أكانت من الثقيلة أم الخفيفة.

ويمثل للأول وقد ورد ثلاث مرات قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ للهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[٨].

ويمثل للثاني وقد ورد مرتين. قوله تعالى: {بَلْ زَعَمْتُمْ أَن لَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا}[٩].

وورد القيد محذوفًا معمولاه لدلالة ما قبله عليهما، وذلك في ثماني مرات،

---

(1) من الآية: ٩٠ من سورة النحل.
(2) الآية: ٨٢ من سورة الواقعة.
(3) من الآية: ٢٢ من سورة البقرة.
(4) من الآية: ١٥٨ من سورة الصافات.
(5) راجع: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن: ٨/ ٣١٧.
(6) من الآية: ٧ من سورة التغابن.
(7) من الآية: ٦٠ من سورة النساء.
(8) الآية: ٦ من سورة الجمعة.
(9) من الآية: ٤٨ من سورة الكهف.

وذلك نحو قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ}[١]، والتقدير: (كنتم تزعمونهم شركائي) والأولى أن يكون التقدير: (الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي) كما هو الكثير في دخول زعم على أن ومعموليها.

(ظـــــن)

جاء القيد (ظن) في لغة القرآن الكريم بصيغتي الماضي والمضارع دالاً على الرجحان، كما أنه أتى لليقين، وذلك تبعا للموقف السياقي الوارد فيه.

فيمثل للماضي – وقد دل على الرجحان – قوله تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}[٢] ويمثل للمضارع – وقد دل على اليقين – قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا}[٣].

وجاء معمولاً القيد (ظن) في الاستعمال القرآني على صور متعددة: إحداها: التصريح بذكرهما، وقد ورد سبع مرات، وذلك نحو قوله تعالى: {وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا}[٤] وهي هنا كذلك تفيد اليقين.

وثانيها: مصدرًا مؤولاً من أن المشددة ومعموليها، وذلك في ستة عشر موضعًا ويمثل له قوله تعالى: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ}[٥] فالمصدر المؤول من (أنه ناج) سد مسد معمولي القيد (ظن). وظن هنا تحتمل أن تكون لليقين إذا جعل فاعل القيد (ظن) ضميرًا مستترًا يعود على يوسف عليه السلام، وتحتمل أن تكون للرجحان إذا جعل فاعلها ضميرًا مستترًا يعود على أحد الفتيين، وهو الساقي على معنى أن نبي الله تعالى يوسف عليه السلام لما أول لهما رؤياهما

---

(1) الآية: ٦٢ من سورة القصص، وكذلك الآية: ٧٤ من نفس السورة.
(2) الآية: ٨٧ من سورة الأنبياء.
(3) الآية: ١٠١ من سورة الإسراء.
(4) من الآية: ١٠٢ من سورة الإسراء.
(5) من الآية: ٤٢ من سورة يوسف.

ترجح عند الساقي أنه ناج[١].

وثالثها: وقد جاء مصدرًا مؤولاً من (أن) المخففة ومعموليها، وذلك في ثمانية مواضع، وذلك كما في قوله تعالى: {وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا}[٢].

ورابعها: وقد جاء مصدرًا مؤولاً من أن الناصبة للمضارع ومعمولها، وذلك في أربعة مواضع، وذلك كما في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا}[٣].

وخامسها: وجاء معلقًا عن العمل بإحدى أدوات التعليق، وذلك في موضعين: الأول منهما: بـ (إن) النافية، وذلك في قوله تعالى: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً}[٤].

والثاني: بـ (ما) النافية، وذلك في قوله تعالى: {وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ}[٥].

وفي ذلك قال أبو حيان: والظاهر أن (ظنوا) معلقة والجملة المنفية في موضع مفعولي (ظنوا)، وقيل تم الكلام عند قوله: (ظنوا) والجملة بعد ذلك مستأنفة[٦].

وقد وضع الزركشي ضابطين فرق من خلالهما بين الشك واليقين، وذلك تبعًا لاستعمال القيد (ظن) في لغة القرآن الكريم[٧].

فالأول منهما: أنه حيث وجد الظن محمودًا مثابًا عليه فهو يقين نحو قوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ}[٨]، وحيث وجد مذمومًا متوعدًا عليه بالعقاب فهو

---

(1) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ٦/ ٢٧٩.
(2) الآية: ٧ من سورة الجن.
(3) من الآية: ٢ من سورة الحشر.
(4) الآية: ٥٢ من سورة الإسراء.
(5) الآية: ٤٨ من سورة فصلت.
(6) أبو حيان، البحر المحيط:٩/ ٣١٥. وانظر في ذلك أيضًا: العكبري في إملاء ما من به الرحمن: ٢/ ٢٢٣.
(7) راجع: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٥٦.
(8) من الآية: ٤٦ من سورة البقرة.

الشك، نحو قوله تعالى: {إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ}[١].

والثاني: أن كل (ظن) اتصلت بعده أن الخفيفة فهو شك، نحو قوله تعالى: {بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[٢].

أما (أن) المشددة فهي للتأكيد، ولذلك فكل (ظن) اتصلت به فهو يقين، جاء ذلك في قوله تعالى: {وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ}[٣].

(حسب)

جاء القيد (حسب) في لغة القرآن الكريم بصيغتي الماضي والمضارع، فالماضي كما في قوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}[٤] والمضارع كما في قوله تعالى: {أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ}[٥]

وجاء معمولاه في الاستعمال القرآني على صور متعددة:

إحداها: التصريح بذكرهما، وذلك في أربعة مواضع، ويمثل له قوله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}[٦].

وثانيها: مصدرًا مؤولاً من (أن) المشددة ومعموليها؛ وذلك إحدى عشرة مرة، ويمثل له قوله تعالى: {إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}[٧].

وثالثها: مصدرًا مؤولاً من (أن) المخففة من الثقيلة ومعموليها، وذلك في ستة مواضع، ويمثل له قوله تعالى: {أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ}[٨].

ورابعها: مصدرًا مؤولاً من (أن) الناصبة للفعل المضارع ومعمولها، وذلك في

---

(1) من الآية: ٢٤ من سورة الجاثية.
(2) من الآية: ١٢ من سورة الفتح.
(3) الآية: ٢٨ من سورة القيامة.
(4) من الآية: ٢١ من سورة الجاثية.
(5) الآية: ٥ من سورة البلد.
(6) من الآية: ٤٢ من سورة إبراهيم.
(7) من الآية: ٣٠ من سورة الأعراف.
(8) الآية: ٧ من سورة البلد.

سبعة مواضع، نحو قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم}[1] وقوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ}[2].

ذلك وقد جاء القيد (حسب) في أكثر مواضعها مفيدة للرجحان أي: (الظن) على ما هو الغالب فيها، وجاء مفيدا للعلم أي لليقين في قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا}[3]؛ إذ إن الخطاب في الآية موجه للرسول ﷺ وفي ذلك قال أبو حيان: والظن قد يقام مقام العلم فكذلك حسبت بمعنى علمت في الآية[4].

ثانيًا: أفعال التحويل

من الأفعال التي يأتي معها ركنا الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) منصوبين أفعال التحويل، وتسمى أيضًا أفعال التصيير[5]، وهي الدالة على انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى تخالفها. أو بعبارة أخرى الدالة على تصيير معنى الاسم المبتدأ إلى الخبر، نحو قولنا: جعلت البرتقال عصيرًا.

والمشهور من هذه الأفعال: (جعل واتخذ وتخذ ووهب وترك ورد وصير) والمستخدم في لغة القرآن الكريم منها (جعل ورد وترك واتخذ وتخذ).

(جعل)

من القيود الدالة على تصيير معنى المبتدأ إلى الخبر القيد (جعل) وقد سبق القول بأنه يأتي للرجحان فيكون بذلك من أفعال القلوب وهو قليل فيها. وقد جاء القيد (جعل) دالاً على التحويل بصيغتي الماضي والمضارع فالماضي كما في قوله تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا}[6] والمضارع كما في قوله

---

(1) من الآية: ٢١٤ من سورة البقرة.
(2) من الآية: ١٦ من سورة التوبة.
(3) الآية: ٩ من سورة الكهف.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ١٤١ وما بعدها.
(5) انظر: الصبان، حاشية الصبان: ٢/ ٣٤.
(6) الآية: ٢٣ من سورة الفرقان.

تعالى: {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا}[١]. وقوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا}[٢].

هذا، وجاء مفعولاً القيد (جعل) في لغة القرآن الكريم على صور متعددة، فقد جاء صريحين، جاء المفعول الثاني مفردا مائة وإحدى وعشرين مرة، وذلك كما في قوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}[٣]. وجاء القيد (جعل) اسم فاعل متعديًا إلى المفعولين ثلاث مرات، وذلك نحو قوله تعالى: {الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً}[٤]، وجاء المفعول الثاني جملة فعلية مرتين، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ}[٥] وجاء شبه جملة أربع عشرة مرة، وذلك كما في قوله تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللهِ}[٦] وجاء ذلك بعد اسم الفاعل كما في قوله تعالى: {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}[٧].

وقد تباينت صورة المفعول الأول، فجاء اسمًا موصولاً في ثلاث آيات، كما في قوله تعالى: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً}[٨]، وجاء – كذلك – مجرورًا بحرف الجر الزائد خمس مرات، كما في قوله تعالى: {وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}[٩] وجاء المفعول الثاني للقيد مسبوقًا بضمير الفصل في موضع واحد قال تعالى: {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ}[١٠] فـ(ذريته) مفعول به أول، و(الباقين) مفعول به ثان. وضمير الفصل – هنا – أفاد التخصيص.

---

(1) الآية: ١٧ من سورة المزمل.
(2) الآية: ٦ من سورة النبأ.
(3) الآية: ٦٦ من سورة البقرة.
(4) من الآية: ١ من سورة فاطر.
(5) من الآية: ٦ من سورة الأنعام.
(6) من الآية: ٣٦ من سورة الحج.
(7) من الآية: ٧ من سورة القصص.
(8) من الآية: ٥٣ من سورة الحج.
(9) من الآية: ٦٠ من سورة المائدة.
(10) الآية: ٧٧ من سورة الصافات.

(رد)

ورد القيد (رد) في لغة القرآن الكريم بصيغة المضارع كما في قوله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا}[١] وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}[٢] قال أبو حيان: والرد هنا معناه التصيير، أي يصيرونكم[٣] كما أنه جاء بصيغة الماضي كما في قوله تعالى: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[٤].

والفرق بين هذا القيد (رد).. والذي ينصب مفعولاً هو أنه يحمل معنى آخر غير التحويل، كأن يأتي بمعنى الرجوع والعودة، وذلك كما في قوله تعالى: {وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا}[٥] أو يأتي بمعنى (صد) وذلك كما في قوله تعالى: {فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ}[٦].

هذا، وقد جاء القيد في لغة القرآن الكريم، ومفعوله الثاني مفرد، مرتين وذلك كما في قوله تعالى: {يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}[٧] وجاء شبه جملة في قوله تعالى: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[٨] فالهاء في (رددناه) مفعول أول و(أسفل) مفعول به ثان.

(تـــــرك)

لم يرد القيد (ترك) في لغة القرآن الكريم إلا بصيغة الماضي، و ذلك كما في قوله تعالى: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا}[٩] أي: صيره

---

(1) من الآية: ١٠٩ من سورة البقرة.
(2) الآية: ١٠٠ من سورة آل عمران.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: ٣/ ٢٨١.
(4) الآية: ٥ من سورة التين.
(5) من الآية: ٢٥ من سورة الأحزاب.
(6) من الآية: ٤٠ من سورة الأنبياء.
(7) من الآية: ١٠٠ من سورة آل عمران.
(8) الآية: ٥ من سورة التين.
(9) من الآية: ٢٦٤ من سورة البقرة.

أجرد نقيًا من التراب الذي كان عليه[١]، وكذلك قوله تعالى: {وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ}[٢] وتركهم ها هنا كما قال العكبري يتعدى إلى مفعولين لأن المعنى صيرهم، وليس المراد به الترك الذي هو الإهمال[٣].

وتأتي ترك بمعنى خلى وخلف بتشديد اللام فتنصب مفعولاً واحدًا ويمثل للأول قوله تعالى: {وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا}[٤] ويمثل للثاني قوله تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ}[٥].

هذا، وقد جاء القيد (ترك) في لغة الاستعمال القرآني ناصبًا لمفعولين أصلهما المبتدأ والخبر عشر مرات. وقد جاء المفعول الثاني منها مفردًا سبع مرات منها قوله تعالى: {فَتَرَكَهُ صَلْدًا} وجاء مرتين جملة فعلية، كما في قوله تعالى: {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ}[٦].

وجاء المفعول الثاني للقيد (ترك) شبه جملة ظرفًا وذلك في قوله تعالى: {وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ}[٧] فـ (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به أول، و(وراء) ظرف شبه جملة في محل نصب مفعول به ثان.

(اتخذ)

ورد القيد (اتخذ) في لغة القرآن الكريم بصيغتي الماضي والمضارع دالاً على التحويل، فالماضي كما في قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا}[٨] وقوله تعالى: {وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا}[٩]، قال العكبري: هي المتعدية إلى المفعولين، وظهريًا

---

(1) راجع: الزمخشري، الكشاف: ١/ ٣٩٤.
(2) من الآية: ١٧ من سورة البقرة.
(3) العكبري، إملاء ما من به الرحمن: ١/ ٢١.
(4) من الآية: ١٧ من سورة يوسف.
(5) من الآية: ٩ من سورة النساء.
(6) من الآية: ٩٩ من سورة الكهف.
(7) من الآية: ٩٤ من سورة الأنعام.
(8) من الآية: ٥٦ من سورة الكهف.
(9) من الآية: ٩٢ من سورة هود.

المفعول الثاني[١].

وفي قوله تعالى: {هَؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً}[٢] قال أبو حيان: و(اتخذوا) هنا يحتمل أن يكون بمعنى عملوا لأنها أصنام هم نحتوها، وأن تكون بمعنى صيروا»[٣].

والمضارع كما في قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}[٤].

هذا، وقد ورد في لغة الاستعمال القرآني معمولاً القيد صريحين ثماني وخمسين مرة، منها كما في قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}[٥]. وجاء القيد في صورة المشتق اسم الفاعل مضافًا إلى معموله الأول ناصبًا الثاني في قوله تعالى: {وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا}[٦] وجاء المعمول الأول مجرورًا بـ (من) الزائدة وذلك سبع مرات منها كما في قوله تعالى: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً}[٧] فـ (حليهم) مفعول به أول، و(عجلاً) مفعول به ثان.

(تَخِـــــذ)

ورد القيد (تخذ) دالاً على التحويل في قوله تعالى: {قَالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا}[٨]، وذلك على قراءة عبد الله والحسن وقتادة بتاء مفتوحة وخاء مكسورة. يقال: تخذ واتخذ نحو: تبع واتبع[٩]، ويكون حينئذ مفعولها الأول (أجرًا) مؤخرًا، ومفعولها الثاني الجار والمجرور (عليه) مقدمًا.

---

(1) العكبري، إملاء ما من به الرحمن: ٢/ ٤٤.
(2) من الآية: ١٥ من سورة الكهف.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ١٤٩.
(4) من الآية: ٦ من سورة لقمان.
(5) من الآية: ٤٣ من سورة الفرقان.
(6) من الآية: ٥١ من سورة الكهف.
(7) من الآية: ١٤٨ من سورة الأعراف.
(8) من الآية: ٧٧ من سورة الكهف.
(9) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ٢١١.

الخصائص التركيبية لجملة (ظن وأخواتها)

وأعني بهذه الخصائص ما يلي:

أولاً: الاستغناء عن المعمولين بالمصدر المؤول

من الخصائص التركيبية لجملة (ظن وأخواتها) أن المصدر المؤول من (أن) المشددة أو المخففة على حد سواء أو (أن) المصدرية الناصبة يسد مسد معمولي القيد، وذلك خاص بأفعال القلوب.

ومن وقع ما ورد في لغة القرآن الكريم تبين أن هذا كثير في (علم وظن وحسب) قليل في (زعم ورأى) منعدم في (وجد وألفى ودري وجعل) ويمثل لذلك قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ}[1]، وقوله تعالى: {بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[2] وقوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا}[3].

وبتحليل قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ} يلحظ أن المصدر المؤول المقدر في الذهن بكلمة مفردة – أعني: المصدر الصريح (قيامك) وقد سد مسد المفعولين – هو في الواقع كما يقول الدكتور طه الجندي: جملة مركبة من عنصرين إسناديين يكونان معنى مفيدا وتاما»[4] كما أشار – كذلك – إلى أن القيد (أن) المكون الأول للمصدر المؤول – والمعبر عن دلالة التوكيد المكتسبة للجملة بركني إسنادها – جاء موافقا للقيمة الدلالية المحققة مع القيد (علم)[5]، وهو المحقق في قوله تعالى السابق.

وما قيل في قوله تعالى السابق من حيث الخصائص التركيبية يقال كذلك في قوله تعالى: {بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ} إلا أن اسم (أن) المخففة في

---

(1) من الآية: ٢٠ من سورة المزمل.
(2) من الآية: ١٢ من سورة الفتح.
(3) من الآية: ٢١٤ من سورة البقرة.
(4) د. طه الجندي، المكونات التركيبية والدلالية للجملة الاسمية: ١٩٧.
(5) انظر: للدكتور طه الجندي، المصدر المؤول. بحث في التركيب والدلالة: ٢٤-٣٠. القاهرة. دار الثقافة العربية.

قوله تعالى: {أَن لَّن يَنْقَلِبَ} ضمير شأن محذوف.

أما الشاهد الثالث، وهو قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا} ففيه رأيان: أولهما: أن يكون المصدر المؤول من (أن تدخلوا) قد سد مسد المعمولين.

والثاني: وهو أن يكون أي: (أن تدخلوا) قد سد مسد المعمول الأول والثاني محذوف، وفي هذا أي: الرأي الثاني دليل على أن الجملة قد ردت إلى أصلها المكون من ركنيها الأساسين (المبتدأ والخبر) وحينئذ يكون التقدير: (أم حسبتم دخولكم الجنة مرجوح).

ثانيًا: التعليق

وهو: ترك العمل لفظًا دون معنى لمانع»[1] وذلك لمجيء ماله صدر الكلام بعده، وهو مختص بأفعال القلوب.

والأدوات التي تعلق الفعل القلبي عن العمل متعددة منها:

١- لام الابتداء: ويمثل لتعليق الفعل (علم) عن العمل بها قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ}[2] فاللام في (لمن اشتراه) لام ابتداء، وهي المانعة من عمل القيد (علم) في المفعولين، ومن ثم تكون الجملة الاسمية سدت مسد المفعولين.

٢- حرفا النفي: (ما وإن) فيمثل لـ (ما) المعلقة القيد عن العمل قوله تعالى: {قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ}[3] ويمثل التعليق بـ (إن) النافية قوله تعالى: {وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً}[4] ولا يشترط للتعليق بها أن تقع في جواب قسم ملفوظ به أو مقدر كما اشترطه بعض النحاة[5]؛ إذ جاءت (إن) نافية وليست في جواب

---

(1) ابن عقيل، شرحه على الألفية: ٢/ ٤٤ وما بعدها.

(2) من الآية: ١٠٢ من سورة البقرة.

(3) من الآية: ٧٩ من سورة هود.

(4) من الآية: ٥٢ من سورة الإسراء.

(5) راجع: السيوطي، همع الهوامع: ٢/ ٥٥٧.

قسم. قال أبو حيان: وقلما ذكر النحويون في أدوات التعليق إن النافية»[١].

٣- الاستفهام وله صورتان:

إحداهما: أن يعترض حرف الاستفهام بين القيد والجملة، وذلك كما قوله تعالى: {وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ}[٢].

والثانية: أن يكون في الجملة الواقعة بعد القيد اسم استفهام عمدة أو فضلة فالعمدة كما في قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا}[٣] والفضلة كما في قوله تعالى: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}[٤].

٤- لعل: عد بعض النحويين من أدوات التعليق لعل[٥]، وذكر من الشواهد على ذلك قوله تعالى: {وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ}[٦] قال أبو حيان: ولعل هنا معلقة أيضًا، والكوفيون يجرون لعل مجرى هل، فكما يقع التعليق بـ هل كذلك بـ لعل[٧].

ثالثًا: اتحاد الضمرين في جملة القيد

ومن الخصائص التركيبية كذلك اتحاد فاعل القيد ومفعوله الأول، وذلك بأن يكونا ضميرين متحدين في المعنى مختلفين في النوع[٨]، وذلك كما في قوله تعالى: {إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}[٩] فالقيد رأى، وهو فعل قلبي فاعله ضمير مستتر تقديره (هو)، ومفعوله الأول – ركن الجملة الأول – هو (الهاء) ومن ثم فقد وقع الفاعل والمفعول هنا ضميرين متحدين في المعنى؛ لأن مدلولهما واحد وهو: الغائب، مع اختلاف نوعهما.

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ٦٥.
(2) من الآية: ١٠٩ من سورة الأنبياء.
(3) الآية: ١٢ من سورة الكهف.
(4) من الآية: ٢٢٧ من سورة الشعراء.
(5) انظر: الصبان، حاشية الصبان: ٢/ ٤٣.
(6) من الآية: ١١١ من سورة الأنبياء.
(7) أبو حيان، البحر المحيط: ٧/ ٤٧٤.
(8) انظر: السيوطي، همع الهوامع: ١/ ٥٦١.
(9) الآيتان: ٦-٧ من سورة العلق.

ولم تكن هذه الخصيصة خاصة بأفعال القلوب وحدها وإنما تشاركها فيها (رأي) البصرية والحلمية[١] ويمثل لذلك قوله تعالى: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا}[٢] فإن (رأى) هنا حلمية وقد اتحد فاعلها ومفعولها في الضميرين.

رابعًا: التقديم والتأخير في جملة القيد

الأصل هو الترتيب بين معمولي القيد، وذلك تبعا لأصلهما (المبتدأ والخبر) قبل التقييد، فما ثبت لأصلهما يثبت كذلك لهما دون اعتبار لوجود القيد. ويترتب على هذا أن يكون المفعول الأول واجب التقديم، والثاني واجب التقديم – كذلك – على الأول وذلك في كل موضع وجب فيه تقديم الخبر على المبتدأ، وأن يكون تقديم أحدهما على الآخر جوازا تبعًا للمواضع التي جوز فيه تقديم المبتدأ أو الخبر.

ويمثل لذلك قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا}[٣] حيث تقدم المفعول الثاني (أكابر) على الأول مجرميها والتقدير (مجرميها أكابر) وذلك؛ لأن مجرميها معرفة فيتعين أنه المبتدأ بحسب الأصل، إلا أن هناك من عد (في كل قرية) هو المفعول الثاني، و(أكابر مجرميها) هو الأول[٤].

وفي قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ}[٥] نجد في تقديم شركاء حسنًا لا نجده إذا قلنا: وجعلوا الجن شركاء لله وذلك؛ لأن تقديم الشركاء يفيد أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيرهم، وذلك بخلاف ما إذا تأخر لفظ شركاء[٦].

ويتقدم المفعول الأول مصدرًا بالاستفهام على القيد كما في قوله تعالى: {قُلْ

---

(1) انظر: السيوطي في الهمع: ١/ ٥٦٣.
(2) من الآية: ٣٦ من سورة يوسف.
(3) من الآية: ١٢٣ من سورة الأنعام.
(4) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ٤/ ٦٣٥.
(5) من الآية: ١٠٠ من سورة الأنعام.
(6) راجع: الزملكاني، البرهان الكاشف: ٢٢٩-٢٣٠ تحقيق د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب. بغداد. مطبعة العاني ١٩٧٤.

أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا}[١] وذلك لما فيه من الحسن والمزية، إذ إن (غير الله) وليت الهمزة دون القيد (أتخذ)؛ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي، فكان أولى بالتقدم[٢].

خامسا: الحذف في جملة القيد

الحذف من شجاعة العربية – كما أشار ابن جني[٣]، لأن وراءه أسرارا ومزايا يدركها الخبير بأساليب الكلام، البصير بطرق القول، وقال عبد القاهر: هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر..، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر...[٤].

وفي لغة القرآن الكريم يجوز في جملة الأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر حذف المفعولين أو أحدهما اختصارًا أي: لدليل ومما يدل على حذف مفعولي القيد (زعم) قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}[٥]، والتقدير: تزعمونهم شركاء، أو: تزعمون أنهم شركاء، وهو الأولى، لأن الغالب في زعم وغيره ألا يقع على المفعولين صريحين بل على (أن) وصلتها من (المبتدأ والخبر).

ومثل لحذف المفعول الأول من جملة القيد قوله تعالى: {وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا}[٦] أي: صيرها، فهو متعد إلى مفعولين الأول محذوف وهو العائد[٧] والتقدير: التي جعلها الله.

وفي قوله تعالى: {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ}[٨]

---

(1) من الآية: ١٤ من سورة الأنعام.
(2) انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: ١٢١.
(3) راجع: ابن جني، الخصائص: ٢/ ٢٤٣.
(4) الجرجاني، دلائل الإعجاز: ١٤٦.
(5) من الآية: ٦٢ من سورة القصص.
(6) من الآية: ٥ من سورة النساء.
(7) راجع: العكبري، إملاء ما من به الرحمن: ١/ ١٦٧.
(8) الآية: ٥١ من سورة البقرة.

فـ(اتخذتم) هنا بمعنى: صير، فهو متعد إلى مفعولين، والمفعول الثاني محذوف؛ لدلالة المعنى عليه، والتقدير: ثم اتخذتم العجل إلهًا[١].

وورد في لغة القرآن الكريم حذف المفعولين اقتصارا أي: لغير دليل، وهو جائز عند أكثر النحاة[٢] وذلك للعموم والشمول، ويمثل لذلك قوله تعالى: {وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}[٣] أي: يعلم الأشياء كائنة. كما أنه ورد حذف أحدهما، ويمثل له قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ}[٤] والتقدير: لا تعلمونهم محاربين الله يعلمهم كذلك[٥].

ثالثًا: أفعال الإعلام والإخبار

قسم النحاة الفعل من حيث التعدي واللزوم إلى قسمين: أولهما: اللازم وهو فعل قاصر لا يتعدى بنفسه إلى مفعول به، والثاني: المتعدي وهو فعل يتعدى بنفسه إلى مفعول به واحد أو اثنين، وقد يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل شريطة أن يخضع لمؤثر آخر غير الفعل نفسه، وأعني بهذا المؤثر (الهمزة) همزة التعدية، إذ يصير الفعل المتعدي لاثنين متعديا لثلاثة. ومن الأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل الفعلان (أرى وأعلم)[٦] اللذان في الأصل (رأي وعلم) الناصبان لمفعولين أصلهما المبتدأ والخبر.

وقد ألحق بهذين الفعلين (أرى وأعلم) الأفعال: (نبأ وأنبأ وخبر وأخبر وحدث)[٧] والمستخدم منها في لغة القرآن الكريم الأفعال (أرى ونبأ وأنبأ).

(أرى): ويمثل له ناصبًا لثلاثة مفاعيل قوله تعالى: {قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ

---

(1) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ١/ ٣٣٣.
(2) راجع: الأزهري، شرح التصريح: ١/ ٢٦٠.
(3) من الآية: ٢٣٢ من سورة البقرة.
(4) من الآية: ٦٠ من سورة الأنفال.
(5) راجع: أبو حيان، البحر المحيط: ٥/ ٣٤٥.
(6) انظر: السيوطي، همع الهوامع: ١/ ٥٦٩.
(7) انظر: ابن هشام، أوضح المسالك: ٢/ ٧٢.

شُرَكَاءَ}[١] فالياء مفعول به أول، واسم الموصول ثان، وشركاء مفعول ثالث. وقيل هي رؤية بصر وشركاء حال[٢].

ومن أحوالها أنها جاءت معلقة عن العمل في المفعولين الثاني والثالث بالاستفهام، وذلك كما في قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ}[٣] فالياء مفعول أول، وجملة الاستفهام (ماذا خلقوا) سدت مسد المفعولين الثاني والثالث[٤].

(نبأ وأنبأ): لم يأت مفعولاً نبأ الثاني والثالث صريحين، بل جاء مصدرًا مؤولاً من (أن) المشددة ومعموليها سادا مسدها، وذلك كما في قوله تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[٥].

وجاء القيد (نبأ) معلقًا عن العمل في مفعوليه الثاني والثالث بالاستفهام كما في قوله تعالى: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ}[٦].

والأصل في القيدين (نبأ وأنبأ) أن يتعديا إلى مفعولين إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر كما في قوله تعالى: {قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ}[٧] فـ (نبأ) هنا تعدى إلى مفعولين، الأول منهما ضمير المتكلم والثاني قوله تعالى: (من أخباركم) وقيل: هو بمعنى أعلم المتعدي إلى ثلاثة وقد حذف المفعول الثالث اختصارًا لدلالة الكلام عليه، والتقدير: من أخباركم كذباً أو نحوه[٨].

ويمثل لذلك – أيضًا قوله تعالى: {قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم

---

(1) من الآية: ٢٧ من سورة سبأ.
(2) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: ٨/ ٥٤٨.
(3) من الآية: ٤ من سورة الأحقاف.
(4) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: ٩/ ٤٣١.
(5) الآية: ٤٩ من سورة الحجر.
(6) الآية: ٢٢١ من سورة الشعراء.
(7) من الآية: ٩٤ من سورة التوبة.
(8) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: ٥/ ٤٨٩.

بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ}[١] قال العكبري: وأنبأ يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد، وإلى الثاني بحرف الجر، وهو قوله (بأسمائهم) وقد يتعدى بعن كقولك: أنبأته عن حال زيد»[٢].

وبعد...وقبل أن يختم البحث حديثه عن هذه الأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل فأود أن أشير إلى أن هناك فائدة معنوية تؤديها همزة التعدية، أو كما أطلق عليها نحاتنا – رحمهم الله – همزة النقل[٣] وذلك زيادة على أنها عدت الفعل إلى مفعول ثالث فوق ما كان حالة كونه فعلاً من أفعال القلوب.

وتتمثل هذه الفائدة كما يقول الدكتور طه الجندي: فيما اقتضته طبيعتها الدلالية الجديدة، في تحويلهما – يعني الفعلين (رأى وعلم) – من مجرد فعلين من أفعال القلوب التي تفيد اليقين إلى فعلين من أفعال الإعلام والإخبار، وتعديها إلى ثلاثة مفاعيل إنما كان لهذا المعنى الجديد[٤].

ثم راح يعرض لمكونات العملية الإخبارية التي يقوم بأدائها هذان الفعلان المشار إليهما. وملخص هذه العملية وتمامها أنه لابد لها من عناصر ثلاثة كي تؤدي وظيفتها الدلالية، وهذه العناصر هي: المرسل، والمتلقي، وثالثهما: محتوى الرسالة الإخبارية[٥].

ويمكن من وقع ما قدمه الدكتور طه الجندي تطبيق ذلك على نموذج مما استعمل في لغة القرآن الكريم، حيث قوله تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[٦]، وذلك على اعتبار أن القيد (نبئ) في قوله تعالى جاء بمعنى: (أعلم) وذلك على النحو التالي:

١- المرسل، أو الباث، وهو الذي يحقق حدث الإخبار، وهو الفاعل وكما

---

(1) من الآية: ٣٣ من سورة البقرة.
(2) العكبري، إملاء ما من به الرحمن: ١/ ٢٩ وما بعدها.
(3) راجع: السيوطي، همع الهوامع: ١/ ٥٦٩.
(4) د. طه الجندي، المكونات التركيبية، والدلالية للجملة الاسمية: ٢١٣.
(5) المرجع السابق: ٢١٣.
(6) الآية: ٤٩ من سورة الحجر.

يبدو في قوله تعالى أنه الرسول ﷺ.

٢- المتلقي، أو المستقبل لحدث الإخبار، وهو الذي وقع عليه هذا الحدث وهو المفعول به الأول، وكما يبدو في قوله تعالى أنهم عباد الله تعالى.

٣- محتوى الرسالة الإخبارية، وهو موضوع العلم أو الإنباء وهو المصدر المؤول الساد مسد المفعولين الثاني والثالث، وكما يبدو في قوله تعالى أنه (أني أنا الغفور الرحيم).

ولعله من الملاحظ في قوله تعالى: {أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} أنه في الأساس جملة اسمية مكونة من ركنين أساسين، هما (المبتدأ والخبر)، (أنا الغفور) وذلك قبل أن تقيد بالقيد (إن) التوكيدية، وأن هذين الركنين (المبتدأ والخبر) قد أديا معنى مقيدًا صلح أن يكون محتوى هذه العملية الإخبارية.